المنبر

مجلة اتحاد النوادي الارثوذكسية العربية

المجلد الاول: العدد ٢ القدس شباط ١٩٤٧

موضوعات العدد

المطبعة التجارية * القدس

المنبر

مجلة شهرية

يصدرها اتحاد النوادي الارثوذكسية العربية

المحرر المسؤول : حنا عطاالله — القدس ص.ب ١٠١٥
تلفون ٢٨٤٠ و ٥٣٤٠

المدير : لطفي سنونو — القدس ص.ب ١٦٣

— بدل الاشتراك السنوي : جنيه ١ و ٢٠٠ مل —

المنبر

مجلة اتحاد النوادي الارثوذكسية العربية

المجلد الأول ﴿ شباط ١٩٤٧ ﴾ العدد ٢

من المحرر

تقف الملة الارثوذكسية في هذه الايام موقفاً واعياً تجاه مشاكلها ومصالحها وقضاياها . وهذه المجلة ترى لزاماً عليها ان توضح هذه القضايا للقراء الكرام . ومن هنا كان العرض الموجز الذي طلعنا به على القراء في العدد الاول من المنبر .

وجدير بالذكر ان الملة عقدت مؤتمرين ارثوذكسيين بعد تقرير برترام ، الاول في سنة ١٩٣١ ، والثاني في عام ١٩٤٤ . وفي هذا المؤتمر بحثت القضية الارثوذكسية من حيث نقاط الخلاف بين الملة والبطريركية ، ولكن اهم من هذا البحث ، في نظرنا ، كانت تلك القرارات الحكيمة التي اهتم بها بامور الارثوذكس اهتماما عملياً . مثل المشروع الانشائي ومشروع تنظيم الطائفة .

ولسنا نريد هنا ان نتناول تاريخاً مفصلاً للادوار التي مرت بها قضيتنا . فموضع هذا هو كتب التاريخ . والمنبر يهمها الامر الجاري الحي العملي في الدرجة الاولى . فما هي القضية الاصلية ؟

القضية الاصلية في جوهرها خلاف بين الهيئة اليونانية المسيطرة على الاوقاف والادارة وبين الملة التي حرمت حق التقرير في الامور التي تمسها والتي هي حيوية بالنسبة لها .

ولنمثل بعد هذا التعميم . ان الميزانية التي تضعها البطريركية الارثوذكسية تنفرد هي بتقريرها . وعندما كانت ترسل الى المجلس المختلط كانت ترسل للاخبار لا لابداء الرأي . وهذا لا يجوز .

وقضية ادارة الاوقاف ، البطريركية منفردة بهذا العمل . وقد رفضت ان تجعل الاوقاف نقطة

لتبادل الرأي في اجتماع رسمي عقد لبحث الموقف قبل بضع سنوات ، لذلك انسحب عندها المندوبون العرب .

ان البطريركية والاخوية تسيطر عليها نزعة «عنصرية» يونانية ، وهذه النزعة هي التي تحملها على حرمان الملة من حقوقها . انها تخشى على نفسها لانها دخيلة . والواقع الذي يجب ان يعرفه كل واحد منا هو ان البطريركية الارثوذكسية في فلسطين مع الملة الارثوذكسية فيها ، تقوم بادارة الكنائس والاملاك والاوقاف الارثوذكسية نيابة عن ارثوذكس العالم ، فالبطريركية اذن ليست «يونانية» ، ولا يجوز لها ان تكون كذلك . فما الذي تريده الملة الارثوذكسية في فلسطين ؟

تريد اولاً اخوية نقية الذيل طاهرة السيرة يختار منها اولئك لذين يعهد اليهم بالسهر على حياة الناس الروحية .

وتريد ان يفسح المجال امام العرب لدخول هذه الاخوية كي يتاح لهم ان يكون منهم في المستقبل من يلي المناصب الروحية الرفيعة . فمن حق الرعية ان يكون راعيها ممن يفهمها وتفهمه ، ويحس معها وتحس معه ، ويحترمها وتحترمه .

وتريد الملة الارثوذكسية في فلسطين ان يكون لها حصة في جميع الشؤون التي هي من حقوقها . فالاملاك والاوقاف والميزانية والتعليم وما تبقى — كل اولئك يجب ان يكون فيه للملة حصة ! حصة تتناسب مع اهميتها وحقوقها .

وتريد الملة ان يعاد المجلس المختلط الى الوجود وان يكون هو المجلس الاستشاري القوي للبطريركية ، بحيث توضع اراؤه موضع الاعتبار والاحترام والتنفيذ .

هذا ما تريده الملة ، فهل اتخذت الوسائل العملية لتحقيق هذه الرغبات ؟

ان الملة تسير وراء هذه الغايات صفاً واحداً كالبنيان المرصوص ، ولكن هل تم لها تنظيم وسائلها ؟

«المنبر» تفتح صدرها لكل اقتراح لحل هذه المشاكل . فهل للقراء الكرام ان يولوا هذه المسائل عنايتهم ويوافونا باقتراحاتهم ؟ تقدموا ولكم الشكر .

المحرر

الى اين تسير القافلة ؟

— ٢ —

للارشمندريت ملاتيوس صويتي — القاهرة

نريد ان نعتقد ان ما قلناه في كلمتنا الاجمالية السابقة لا يزال عالقاً في اذهان القراء الكرام . وهذا ما يشجعنا بالطبع على سوق هذه الكلمة الثانية — وستتلوها كلمات — الى العقول الراجحة والقلوب الطيبة عليها تتركز وتتمركز ، الواحدة بعد الاخرى ، فتؤلف جسماً كاملاً اي موضوعاً كاملاً يفيد منه كل واحد على قدر استعداده .

الانسان مخلوق متدين بطبعه وسليقته اعني انه لم يكن انسان ، من يوم وجد الانسان على الارض ، بدون دين . ونقصد بالدين هنا تلك الصلات القوية القائمة بين الله والانسان . بين الخالق والمخلوق على وجه الاجمال و بدون نظر الى الطقوس والرسوم والمظاهر الخارجية . وقديماً قال بلوطارخس : «لقد جبت العالم كله ، ووجدت بعض المدن بدون اسوار ولكنني لم اجد انساناً بلا دين» . ونخالنا لا نحيد عن جادة الحق والصواب اذا قلنا ان ما تحققه بلوطارخس في ايامه هو قانون عام شامل للبشرية في كل مكان وزمان .

ونحن ، اذ نقرر وجود هذه العلاقة الروحية بين الله والانسان كمبدأ عام ، لا يسعنا سوى الاعتراف بان هذه العلاقة ليست دائماً على قياس واحد ودرجة واحدة عند جميع الناس . ولا يخفى على لبيب ان لهذه العلاقة الروحية الصرف مظاهر خارجية ، كما ألمحنا ، ودلائل مادية وقرائن ملموسة واثاراً عيانية . وكل هذه الاخيرة تعرف بالروح الديني او التقوى .

مما لا شك فيه ان للحروب نتائج سيئة على الروح الديني في العالم ، وان هذه الحرب العالمية الاخيرة قد هزت اركان العالم هزاً وغيرت وبدلت في تياراته واتجاهاته الروحية وغير الروحية . ولا ينكر احد ، الا المكابر ، ان الروح الديني يسير في ايامنا هذه ، من سيء الى اسوأ ولا سيما بين

مساهمة نصارى العرب والمستعربين في الحكم العربي

للاستاذ احمد سامح الخالدي

كان لنصارى العرب خاصة ، والسريان والكلدانيين ، والروم المستعربين ، من يعقوبيين وملكيين ، شأن كبير في المساهمة فى الحياة العقلية في الدول العربية الاسلامية . فقد نقلوا علوم الاغريق وفلسفتهم ، وترجموا الكتب والرسائل الى العربية من السريانية ثم من الاغريقية ، ووضعوا خبرتهم وعلومهم رهن اشارة الخلفاء ، فاشتركوا في انعاش دور العلم ، و بيوت الحكمة وخزائنها وانشاء البيمارستانات وتنظيمها ، ورفع مستوى الطب والتأليف فيه . على ان بحثنا اليوم لا يتناول هذه الناحية الهامة من الحياة العقلية ، على خطورة شأنها . ومن رأينا ان خدمتهم للمدنية العربية الاسلامية هي في المكان الاول خدمة علمية ثقافية ، فقد كان لهم فضل كبير على الطب والحكمة ، والفلسفة والموسيقى ، والهندسة ، والمساحة ، والحساب والجبر ، وحساب المقابلة ، والصيدلة والعقاقير . دع عنك ما قدموه الى الحياة الادبية في عالم الشعر خاصة كالاخطل وابي تمام وما الى ذلك ، ولكن هذه الناحية الهامة كما قلت ليست من متناول بحثنا الآن وقد نفرد لها بحثاً خاصاً في المستقبل .

على اننا نريد ان نتناول ناحية هامة من نواحي مساهمة نصارى العرب خاصة في الحكم والادارة منذ القرن الاول . وهو دور اخطر بكثير مما يظن الكثيرون . فقد كان منهم الوزراء ، ورجال الحكم ، كما ان كثيرين من الاطباء ، استطاعوا بفضل تأثيرهم على الخلفاء ، لعلمهم ونفوذهم الشخصي ، ان تكون كلمتهم نافذة في ادارات الحكومة وعند الخلفاء والامراء .

وهناك ناحية اخرى نيرة تبين علاقة علماء المسلمين بعلماء نصارى العرب والمستعربين مما يجب ان يتخذ مثالا يحتذى فقد كانوا يأخذون عن بعضهم حتى في العلوم الدينية وهذا منتهى التساهل

بل هذه هي الروح العلمية الحقة . اما روح الاحترام المتبادل فقد تجلت غير مرة ، مما سنعرض الى ذكر بعض امثلة منه في هذا المقال .

من ذلك انه جاء في ابن خلكان (ج ٢ ص ١١٢) في ترجمة ابي الحسن مقاتل بن سليمان الخرساني المروزي (صاحب تفسير القرآن المشهور) عن ابي حاتم محمد بن حيان البستي ان مقاتل بن سلمان كان يأخذ عن النصارى وغيرهم علم القرآن العزيز الذي يوافق كتبهم وقد توفي مقاتل (١٥٠هـ) .

ويقابل ذلك ما عثرت عليه في كتاب شذارات الذهب للعماد الحنبلي (ج ٥ ص ٢٠٦) فقد جاء فيه ما يأتي :

(ان الكمال بن يونس العلامة ابو الفتح موسى بن يونس بن محمد بن منعة بن مالك الموصلي الشافعي احد الاعلام ولد سنة (٥٥١ هـ — ١١٥٦ م) بالموصل وتفقه على والده وببغداد على معيد النظامية السديد السلماس ، وكان يتقن اربعة عشر فناً وكان فقيهاً كبيراً ، واستخرج في علم الاوفاق طرقاً لم يهتد اليها احد . وكان يحفظ من التواريخ وايام العرب ووقائعهم والاشعار والمحاضرات شيئاً كثيراً . وكان اهل الذمة (من النصارى) يقرأون عليه التوراة والانجيل ويشرح لهما هذين الكتابين شرحاً يعترفون انهم لا يجدون من يوضحهما لهم مثله) .

توفي الكمال بالموصل سنة (٦٣٩هـ — ١٢٤١م) وفي هذا من امثلة التساهل الديني في عصر الحروب الصليبية ما لا نعرف له مثيلاً .

بل ما قولك ايها القارئ الكريم انه لما مات سلمويه بن بنان الطبيب النصراني امتنع الخليفة المعتصم (٢١٨ هـ — ٢٢٨ هـ و ٨٣٣ م — ٨٤٢ م) عن الاكل في ذلك اليوم ، وامر باحضار جنازته الى الدار ، وان يصلى عليها بالشمع والبخور على رأي النصـــارى ففعل ذلك وهو يراهم . (طبقات الحكماء ص ١٤١) .

وهذا ابو الحسن هبة الله بن ابي الغنائم بن التلميذ الطبيب صاعد بن هبة الله بن ابراهيم بن على المعروف بابن التلميذ النصراني الطبيب ، شيخ النصارى وقسيسهم ورأسهم ورئيسهم ، صاحب التآليف وخادم الخلفاء ، توفي سنة (٥٦٠ هـ — ١١٦٤ م) ولم يبق في بغداد من الجانبين من لم يحضر

البيعة (الكنيسة) ويشهد جنازته . (الوفيات ج ٢ ص ١٩١) . بل ما رأيك في الامير خالد بن عبدالله بن يزيد القسري امير مكة والحجاز للوليد ثم لسليمان وامير العراقين لهشام (١٠٦ هـ — ١٢٦هـ ٧٢٤ م — ٧٤٣ م) كانت امه نصرانية وقد بنى لها كنيسة في داره . (البداية والنهاية ج ١٠ ص ٢١) وقد اضاف ابن خلكان على ذلك فقال في (ج ١ — ١٧٠) (بنى لامه كنيسة تتعبد فيها) .

اما شأنهم في الحكم فيكفي ان نذكر ان صاحب امر معاوية كان سرجون بن منصور وهو نصراني . فهذا في القرن الاول الهجري . وكذلك كان ابنه عند خلفاء معاوية وبلغ من مكانة الطبيب ، جورجس بن جبرائيل عند المنصور (١٣٧ هـ — ١٥٩ هـ ٧٥٤ م — ٧٧٥ م) انه لما مرض الطبيب ، خرج الخليفة اليه ماشياً .

اما مكانة الطبيب جبرائيل بن بختيشوع عند الرشيد (١٧٠ هـ — ١٩٤ هـ ٧٨٦ م — ٨٠٩م) فتتمثل بما جاء في طبقات الاطباء (ج ١ ص ١٢٧) . اذ يقول «كل من كانت له الي حاجة فليخاطب بها جبرائيل لاني افعل كل ما يسألني فيه ويطلبه مني ، فكان القواد يقصدونه في كل امورهم وحاله تتزايد» .

وانتهى الامر بجبرائيل عند المأمون (١٩٨ هـ — ٢١٨ هـ ٨١٣ م — ٨٣٣ م) ان اكرمه زيادة على ما كان ابوه يكرمه وانتهى به الامر في الجلالة الى ان كان كل من تقلد عملا لا يخرج الى عمله الا بعد ان يلقى جبرائيل ويكرمه .

وقال الخليفة المعتصم (٢١٨ هـ — ٢٢٨ هـ ٨٣٣ م — ٨٤٢ م) طبيبي «وكان نصرانياً» اكبر عندي من قاضي القضاة ، لان هذا يحكم في مالي ، وهذا يحكم في نفسي ، ونفسي اشرف من مالي وملكي ، ولما مرض الطبيب سلمويه بن بنان النصراني امر المعتصم ولده ان يعوده فعاده وقال «انا اعلم واتيقن انني لا اعيش بعده ، ولم يعش بعده تمام السنة» (طبقات الاطباء ج ١ ص ١٦٤) .

اما الطبيب بختيشوع بن جبرائيل بن بختيشوع فكان يضاهي الخليفة المتوكل (٢٣٣هـ—٢٤٧هـ ٨٤٧ م — ٨٦١ م) في اللباس .

وهذا ابو العباس الفضل بن مروان بن ماسرخس كان وزيراً للمعتصم . وقد غلب عليه بطول خدمته وتربيته اياه واستقل بالامور وكان كذلك في اواخر ولاية المأمون ، وغلب عليه كثيراً . وكان نصراني الاصل . له ديوان رسائل وكتاب المشاهدات والاخبار التي شاهدها (توفي ٢٥٠ هـ) . ومن كلامه «لا تتعرض لعدوك وهو مقبل فان اقباله يعينه عليك ، ولا تتعرض له وهو مدبر فان ادباره يكفيك امره» ابن خلكان (ج ٢ ص ١١٢) .

وهذه ام الخليفة المستعين (٢٤٨ هـ — ٢٥٢ هـ ٨٦٢ م — ٨٦٦ م) فوضها ابنها الخلافة ، مع اتامش التركي ، وشابك الخادم ، وكان لها كاتب يدعى سلمة بن سعد وكان نصرانياً . (البداية والنهاية ج ١١ ص ٣) .

وفي حوادث سنة (٣٦٩ هـ — ٩٧٩ م) تزوج الخليفة الطائع لله بنت عضد الدولة البويهي الكبرى ، واذن عضد الدولة لوزيره نصر بن هارون «وكان نصرانياً» بعمارة البيع (الكنائس) والاديرة واطلق الاموال لفقرائهم . (انظر البداية والنهاية ج ١١ ص ٢٩٥) .

هذا في بغداد في العصر العباسي اما في القاهرة في زمن الفاطميين ، فقد جاء في البداية والنهاية (ج ١١ ص ٣٢٠) ان العزيز (٣٦٥ هـ — ٣٨٦ هـ ٩٧٥ م — ٩٩٦ م) الخليفة صاحب مصر ، استوزر عيسى بن نسطورس وكان نصرانياً . ولم يكن عيسى الوزير النصراني الوحيد في عصر الفاطميين ، فقد جاء في البداية والنهاية (ج ١٢) في حوادث سنة (٥٣١ هـ — ١١٣٦ م) ان وزير صاحب مصر تاج الدولة بهرام النصراني ، تمكن في البلاد ، فسجنه الخليفة ثم اطلقه فترهب وترك العمل .

هذه لمحة خاطفة تبين مساهمة نصارى العرب خاصة والمستعربين في الحكم العربي وما كان لهم من شأن خطير في ادارة شؤون الدولة في العصور العربية المختلفة . ولعلنا نفرد في مجلة المنبر في اعدادها القامة بحثاً عن مساهمتهم في الحياة العقلية في المدنية العربية .

زهرات
من حدائق تولستوي

للاستاذ اديب سعاده خوري
بالمدرسة العامرية الثانوية — يافا

معربة عن الروسية
من كتاب دوائر القراءة
للفيلسوف تولستوي

القصاص

منذ اعرق الازمنة اتضح للناس ان القصاص ليس وسيلة ناجعة في القضاء على الاجرام ، والتخلص من المجرمين ، فتمخضت قرائحهم عن نظريات باطلة واراء سقيمة ، اخذت تتساقط من نفسها تساقط اوراق الخريف الذاوية الواحدة تلو الاخرى . لا لشيء الا لانها الانتقام سداها والتشفي لحمتها ، وعبثاً حاولوا ويحاولون ان يستروا «الانتقام» بثوب شفاف من الرياء «فثوب الرياء يشف عما تحته» . تمسك المصلحون بالعرض وفاتهم الجوهر ، وما ذلك الجوهر إلا القدوة الصالحة والمثال الحسن ، والحياة الفاضلة ، وكان جديراً جد جدير باولئك الذين نصبوا انفسهم قادة وهداة للناس من علماء وادباء ومصلحين ان يكونوا هم المثال المحتذى .

الحرب

ان من غشي الوغى ورأى الجثث تتناثر في الفضاء تناثر الاوراق ، هاله الموقف وتملكه الرعب ، فظن في الحرب اسوأ الظنون وعدها وحشية ما بعدها وحشية ، وقد يودع بطون الكتب اراءه فيها ويملأ اعمدة الصحف بالحط من شأنها ، وينطق المنابر بمر الشكوى من آلامها . ولكن قصار النظر يرمقون الصوت جهرة منادين ان الحرب هي العلاج الشافي للعزائم المسترخية والترياق لسموم الانحلال الخلقي والصيقل الذي يرهف النفوس التي علاها صدأ الضعف ، ولا يرون فيها إلا الفضيلة ، فهولاء يتم فيهم قول الكتاب : لهم اعين ولا يرون لهم آذان ولا يسمعون ، انهم في قولهم هذا يشفقون على الاسماك في البحار ، فيطعمونها من لحوم القتلى وتأخذهم الرأفة بنسور السماء فيعدون لهم قوتاً اشلاء البشر .

ان القائد مولتكه هو القاتل العبقري ، إذ يقول وما اغباه قولاً قوله : ان الحرب مقدسة بل مؤسسة آلهية ، وانها اقوم انظمة الكون ،

انها الركن الوطيد في بناء صرح الامم وانها خير احسان لبني الانسان ، انها افضل الطرق لانقاذ الناس من سيطرة المادة .

ان هذا العبقري ينسى او يتناسى ان سوق قطيع فيه اربعمئة الف من البشر في ارض مسبعة ، وفي طريق مهلكة ، ينهبون ويدمرون ويقتلون ويسبون ، ويجرون من الدماء انهاراً ، ليس خلاصاً للانسانية بل فناء ما بعده فناء ، فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب .

الله والروح

انني اعرف الله واؤمن بالروح ، ولكن ليس من وحي التعريفات او من الاقتناع بالتحديدات ، بل من طريق اخرى هي في الاقناع اقوى وفي الايمان اجدى ، لان التعريفات تفسد علي الايمان . اومن بالله اذا ما عدت الى النفس اسألها «من اين انا» واعترف بالروح اذا ما فكرت «من انا» .

انا لست يداً ولا رجلاً ولا رأساً ولا مجرد إحساس ولا فكراً ، بل انا «روح» ، وفي الروح تعمل عملها .

اني اذا ما اتيت امراً حسناً ، او فتحت عيني لرؤية الحقيقة لاتبعها عرفت ان ذلك كله مصدره الروح التي تدير هذه الآلة البشرية ، فالروح توحي الي المحبة الشاملة غير المقيدة بحدود مكان او فواصل زمان ، والطليقة من قيود تقاليد مهلهلة النسج كاذبة ، الروح توحد وتوطد ، ولا تفصل او تقيد .

سلاح الانسان

ان الانسان في هذه الحياة اذا ما بغى الخير لنفسه ، فعليه ان يتسلح بايمانيين : الايمان الاول ، ان للحياة معنى ومغزى . والثاني ، ان يجد احسن الحلول لهذا اللغز ، وافضل الشروح لهذا المعنى الحل الوحيد هي المحبة ، المحبة لا تميتها الآلام ولا تحرقها شدائد الايام ، لانها اقوى من الموت نفسه ، انها هي القادرة على حل اغمض الالغاز . هي الفاتحة لنا بيدها القوية ابواب السعادة التي ينشدها الانسان في جميع ادوار حياته هي التي قال فيها رسول الامم بولس فكان قوله نشيداً لها «ان كان لي ايمان ينقل الجبال ولا محبة تملأ قلبي فلست شيئاً ، المحبة تتأنى وترفق ، اني وان اوتيت لغة الملأين الاعلي والادنى ، وفرغ قلبي من المحبة فقد صرت نحاساً يطن او صنجاً يرن» .

ما انا بمبالغ اذا قلت حيثما المحبة فهناك الله . فالله محبة والمحبة هي الله .

تعالوا نستعبده

قدر لي ان اجيء الى هذه الدنيا فهل لكم يا عظماءها وسادتها ان تدلوني على قطعة ارض احرثها والقي فيها بذوري فتنبت قمحاً لي ولعائلتي ، هل لكم ان ترشدوني الى حرش احتطب منه ، او قطعة ارض اقيم عليها بيتي ، لا لا هذا ما كان ولن يكون ، اعمل في حقلنا نحن العظماء فنجود عليك بكسيرات من الخبز .

سقطت جوهرة من رجل في البحر فاسرع الى الفخاري فابتاع جرة لينزف ما في البحر من ماء ليعثر على الجوهرة ، وبينما هو آخذ في نزف الماء خرج اليه شيطان البحر وقال له حتى م تبق مكباً على عملك ، قال حتى انزف ماء البحر فقال له يا هذا لقد خولطت في عقلك ، متى استطاع بشر ان ينزف ما في البحر من ماء ؟ ! فقال لا شيء يثنيني عما صحت عليه عزيمتي ، واخذ يملأ الجرة ، فدهش شيطان البحر واسرع وأحضر له الجوهرة .

الارض تعجز الشيطان

جاء الارض شيطان ليفسد الناس فتم له ذلك إذ افسد التاجر ورجل الحرب اما الفلاح فعجز عن افساده فذهب الى رئيس الشياطين باكياً مقراً بعجزه ، فغضب ذلك الرئيس وصاح به ان اخرج والا حطمت رأسك يا جاهل ، أيقع في حبائلك التاجر الماهر والقائد الظافر ويعجزك امر فلاح معتوه ، فقال له : رحماك يا سيدي إن الارض التي يفلحها وان انصرافه الى عمله غير عابئ بشيء هما السر كل السر في قوته ، واين انا منه ما دامت يده على محراثه ، اني كسرت محراثه ثلاث مرات فكان في كل مرة يبتسم ويذهب الى بيته و يأتي بمحراث آخر ، أيبست ارضه ظناً مني بانه يخضع لي ولكن بسكته قطعني اربا اربا وما جمعت اجزائي الا بعد ان اخذ علي عهداً الا اعود لمثلها ، انهم هؤلاء الفلاحون لا يخطبون ، بل يعملون . لا يعقدون المؤتمرات ، ولا يؤسسون الجمعيات بل ياتون الى بيوتهم ليلاً ، فيأكلون و ينامون وعليهم رئيس معتوه ما اسمه الا قائلاً لهم العمل العمل بالايدي لا بالرؤوس ، ان الايدي الناعمة لا تقوى على خنق الشيطان او اسره بل الايدي القوية تفعل كل ذلك . . .

صور من حياة العلماء

للاستاذ علي رشيد شعث

مدير البنك العربي — الاسكندرية

— ١ —

الشوارع غاصة بالشعب الفرنسي الثائر يدوي الفضاء بهتافه للعدل والحرية والمساواة . . . شعب اضناه الجوع والاضطهاد وتحكم الأفراد فثار وكان في ثورته حق كبير ، وهرع يقتص ممن امتصوا دماءه ، واكلوا خبزه ، ودقوا عظامه ! . . وكان في ذلك كالنار المندلعة او السيف المندفع يأخذ معه كل من يقف في طريقه . . .

في مثل هذه الساعات الحرجة في تاريخ الامم لا بد من ان يظلم ابرياء . . وحدث هذا مع «لفوازييه» العالم الفرنسي الاشهر . . اذ كان من سوء طالعه وقتذاك انه كان ينتمي الى طبقة موسرة ، ويتولى — لمقدرته العلمية الفذة — مركزاً حكومياً رفيعاً . . فاحضروه مع من احضروا مكبلاً بالحديد في رهط من الاقطاعيين الاغنياء . . .

هتفت الجماهير بسقوطه — لقد التبس الامر عليهم — وتضاحكوا عليه ، وقذفوه بالحجارة ، وطعنوه في صميم شرفه وهو الذي كان يحلم بمجد بلاده واسعادها ! . .

سكوت رهيب . . . فنحن أمام محكمة الشعب !

«يا لفوازييه ! . . ان محكمة الشعب تحكم عليك بالاعدام ! » فقام عالمنا بنشاط وحيوية وعلى وجهه ابتسامة الواثق بشرفه ، المطمئن لاخلاصه . . لم يقف ليطلب التحقيق او العفو . ولكنه قال :

«سيدي ! . . كنت منهمكاً قبل القاء القبض علي في بحث كيماوي في مختبري أشرف على الانتهاء . . واطلب تأجيل التنفيذ بضعة ايام فقط انصب فيها على بحثي انهيه قبل موتي ، عساي اضيف يا سيدي مجداً آخر لبلادي المحبوبة ! . . »

ولـكن الصرخة ضاعت في الفضاء ، فقد ضرب القاضي المنضدة بقبضة يده قائلاً . . «صه يا هذا . . . فالجمهورية لم تعد في حاجة الى علماء ! . .»

فطاطأ الرجل وطار رأسه ! . .

هذا رجل يخذله شعبه ، ويطعنه مواطنوه في صميم شرفه ويحكمون عليه بالاعدام . . ولـكنه — وهو العالم المنصف — يقدر الظروف القاهرة ويغفر لمواطنيه هذه الاساءة غير المقصودة . . . ويسمو على كل حقد شخصي ، ويرجو امهاله حياة قصيرة ليهب الذين آذوه مجداً وفخاراً جديدين ! انه سمو في النفس وتجرد جديران فقط بالعلماء ! .

— ٢ —

في الاربعين من عمره . . طموح . . في عينيه بريق نفاذ وفي دماغه ذكاء لماح ، وفي فؤاده شعلة من نشاط لا تخبو . . وهب نفسه للبحث فقضى كل حياته في صومعته الموحشة التي يدعوها العالم «مختبراً» . . ذاك هو «جيرهارد دوماك» الالماني مخترع البرونتوزيل ، اول مركب سلفانامي في الوجود . .

حقن به فيراناً أصابتها جراثيم «الستريبتوكوكى»(١) القاتلة وانتظر لا يقر له قرار ، يتلاعب به الفشل والنجاح . . . واذا به يقفز فرحاً فقد عاشت كلها . . وكان الميكروب اللعين قبلاً يميتها شر ميتة في ثلاثة ايام . .

لقد كان انتصاراً عظيماً مثيراً . . ولـكن ترى ما اثر ذلك في الانسجة الانسانية ؟ . . انه يقتل الميكروب ما في ذلك من ريب . . ولـكن اية جرعة منه تكفي للشفاء دون القضاء على المريض ؟ . . وما فعله الحقيقي في الانسجة . . انه ما زال في اول الشوط فليبق ابحاثه سراً . .

وفي المساء تسقط طفلته الوحيدة — عزاؤه في الحياة بعد والدتها — صريعة «الستريبتوكوكى» جراثيم مختبره القاتلة .

مسكينة ! . . لقد وخزت اصبعها ابرة خياطة فاصابتها تلك الميكروبات التي نشرها والدها في جو مختبره . . .

---

(١) هي مكروبات بزرية تعرف بالسبحية .

لقد عذبه الاعتقاد بانه قاتل ابنته . . فجن جنونه وحمل ضحيته الى الجراحين ولكن دون جدوى فقد سرى السم في جسمها وتمكن منه . . وهنا تذكر معجزة الفيران ومركبه العتيد . . ولكنه لم يكن بعد قد بدأ تجاربه في الانسان والأمر خطير النتائج فقد لا يحتمل جسمها ما يعطيها اياه فيعجل ذلك في موتها . . وهي قد تحيا اذا تركت . . ايجهز عليها بنفسه بعد ان صرعها ؟ ! . .

ولكنه انقلب فجأة كنمر كاسر اذ تذكر حينذاك ملايين البشر الذين قد يقفون موقف ابنته الوحيدة . . ورأى انه قد ينفع باقدامه هذا العدد العديد من اخواتها في الانسانية فقرر ان يغنم الفرصة وان يقوم بالتضحية ، وعاد بابنته الى صومعته بين دهشة الاطباء وحيرتهم . . .

لقد تحجر قلب الوالد المروع واختفى ، وبرز مكانه للميدان العالم القاسي ، وحقن المسكينة بما الهمه الله انه القدر الطافي من «البرونتوزيل» فحقق الله الرجاء ، وانتصر العلم ، وعاشت الطفلة ، وعاش بعدها ملايين من البشر . . وهنا هتفت الدنيـــا وهلل الاطباء بالحدث العظيم ، واقتعدت مركبات السلفا مكانها اللائق في صيدليات العالم ، وعاد «دوماك» هادئاً هانئاً مرة اخرى الى عرينه يفتش عن صيد آخر . .

— ٣ —

«وماري كوري» تلك التي قضت وزوجها «بيير» السنين الطوال يعاركان الصعاب ، ويواجهان التحكم المرير اللاذع ويتعرضان لأخطار الاشعاع المجهول . . حتى لقد حرقت اصابع ماري وبثت فيها الاورام . .

لقد اهملت بيتها وابنتيها وزوجها . . بل لقد اهملت نفسها وقد كانت مثلا رائعاً للجمال النسوي فلم تتمتع — حتى في شهر زواجها الاول — بما في باريس من مباهج ومسارح ومتنزهات «لا لشيء يا بيير» وهي تعتذر له . . . «إلا لأن مالنا ووقتنا للانسانية والعلم فقط ! . .»

وما ان وصلت هدفها وجن العالم لاكتشافها الراديوم حتى انطوت على نفسها ، وانكرت ذاتها ورفضت اي كسب مادي خاص إذ ابت ان تسجل باسمها اكتشافها العظيم مشترطة على وطنها ان يسعدها باهدائها مختبراً كيماوياً كاملاً يمكنها من متابعة نضالها العلمي وتقضي العمر متنقلة من بلد

الى آخر ، ومن مستشفى الى ثان . . حتى اتيح لها في حياتها ان تعالج آلافاً من المرضى غير مبالية بما نال الراديوم من جسمها من طول الاستعمال والتعرض له .

لقد هددها العمى ولكنها لم تعره اهتماماً بل واصلت كفاحها حتى فقدت بصرها فراحت تتلمس طريقها بعناد متأبطة ذراع ابنتها «ايف» . وتأبى — وهي في محنتها — ان تعلن ذلك للعالم ، فاخذت تملي على « ايف » مقالها الخالد عن الاشعاع الذي طلبته منها «الأنسكليوبيديا برتيانيكا» .

ثم تحرق يداها . . تجف مرة وتتقيح اخرى ، وتهوي بعد ذلك صريعة ما اكتشفته في الرابع من تموز سنة ١٩٣٤

لقد كانت حياة هذه البطلة ، كما قالت ابنتها ، «هبة سخية وعطاء متصلاً . . . »

* * *

ليت لي يا قارئي من المجال ما يمكنني من سرد نماذج اخرى من حياة العلماء الابطال ، وتفصيل كفاح «الجنود المجهولين» الذين قادوا معارك الموت والحياة ضد المرض والجهل والفاقه . . . لم يبالوا بالعيش ، هانئاً او مريراً ، أكان ذلك في وهج الشمس المحرقة في الهند او في زمهرير القطب الشمالي .

قصة هؤلاء العلماء — كما قال الدكتور احمد زكي بك — « هي قصة الشجاعة والاقدام . . قصة البروز للموت لمقاتلة الموت في الظلام . . . قصة الالم الأليم يحتمله المرء في سبيل المبدأ الكريم . قصة المكاره ابتغاء نفع الانسانية ومرضاة لوجه الله . . »

يوجد في فلسطين ٢٥ مصرفاً مالياً اي بنكا — ومن هذا العدد عشرون بنكاً محلياً يبلغ مجموع رؤوس اموالها ستة ملايين و٤٤٢ الف جنيه . وخمسة بنوك اجنبية . وتقدر الودائع في البنوك المحلية تحت الطاب في نهاية شهر ايلول (سبتمبر) ٧٧ مليون جنيه . اما الودائع المربوطة لمدد تتراوح بين ثلاثة اشهر و١٢ شهراً فتبلغ تسعة ملايين جنيه . وتقدر كتب الاعتماد التي فتحت في البنوك في فلسطين حتى نهاية الشهر المذكور ١٤ مليون و٤٤٨ الف جنيه .

علاقات هرون الرشيد بشارلمان [١]

للاب جبرائيل ابي سعدى — القدس

في ٣٠ من تشرين ثاني سنة ٨٠٠ ، بضعة أسابيع قبل تتويج شارل ملك فرنسا امبراطوراً ، في كنيسة القديس بطرس في رومة ، استقبل هذا راهبين قادمين من القدس يحملان اليه باسم البطريرك شعار المدينة وعلمها ومفاتيح القبر المقدس ومسامير الصليب الحقيقية .

طالت المناقشات حول هذا الحادث ، وحول السلطة المرموز اليها بتسليم هذه الادوات ، فبعض من المؤرخين رأى في هذه الحادثة رغبة هرون الرشيد في ان يعترف بسلطة العاهل الفرنسي بحماية المسيحيين في الارض المقدسة . وغيرهم لم يروا فيه الا زوراً وبهتاناً ، لفقه بعض ذوي الاغراض ، لغايات لهم في النفس ، فاتهموا بذلك يهودياً اسمه اسحق كان قد تزيا بزي سفراء الدول ، وذهب الى شارلمان باسم هرون الرشيد كذباً ونفاقا ! .

وسعى المؤرخون في جلاء الغامض من هذا الحادث الجلل ، ففي سنة ١٩١٢ نشر كاتب روسي ، بارتولد [٢] مقالة حوله ، وتوصل الى نتائج سلبية ، تنفي وقوع هذا الحادث ، ومما دعم به براهينه ، سكوت المؤرخين العرب عنه ، وما كانوا سكتوا لو ان له حقيقة .

ولكن كاتباً روسياً آخر ، فاسلياف [٣] قام أيضاً ونشر درساً ضافياً ، حول هذه العلاقات المزعومة بين شارلمان وخليفة العرب ، واسفرت ابحاثه عن نتيجة ايجابية محققاً صحة هذه العلاقات ، ومثبتاً وقوعها . فتوكد له أن هرون الرشيد في الواقع تقدم من شارلمان ووهبه هذه السلطة لحماية المسيحيين في الشرق . وهاك نسج الوقائع كما يتصوره فاسيلياف ، كاتب هذا المقال .

(١) ان العلاقات بين ملك فرنسا وخليفة العرب ابتدأت على زمن بيبان القصير Pépin le Brel فانه في سنة ٧٦٥ ارسل وفداً الى الخليفة المنصور (٧٤٥—٧٧٥) وعاد هذا الوفد بعد ثلاث سنين ،

(١) Cf. LOUIS BREHIER in Larousse Mensuel, No. 91. Sept. 1914, p. 223, Origines lointaines du protectorat français en Palestine: Charlemagne et Haroun-al-rachid.

(٢) Bartold, Orient Chrétien, St. Petersbourg, 1912.

(٣) Vaziliev, in Visantijski Vremenik, 1913, p. 71 sq.

مصحوباً بموفدين مسلمين ، يحملون الى ملك فرنسا من قبل خليفة بغداد هدايا ثمينة . فاستقبلهم ببيان القصير في سيل سير شير Selles-sur-Cher في نيسان سنة ٧٦٨ . ونحن نفهم بيسر دافع هذا التقرب بين خليفة بغداد وعاهل فرنسا ، اذا ما ذكرنا ان الخليفة الاموي ، المنصور ، كان في اسبانيا خطراً يهدد راحة المملكتين . ومن الاهداف التي يرمي اليها ببيان متابعة الحروب التي بدأها احد اسلافه شارل مارتيل ، بينما الخليفة البغدادي كان دوما يطمع في إخضاع الامويين في اسبانيا ، وجلبهم الى نفوذه وسطوته . وكان قد حاول ذلك سنة ٧٦٤ ولكنه فشل !

(٢) ارسل شارلمان سنة ٧٩٧ ثلاثة سفراء لانتفريد Lantfrid وسيجيسموند Sigismond واسحاق اليهودي ، الى هرون الرشيد (٧٨٦—٨٠٩) والغرض الوحيد لهذه البعثة على ما يشهد به كل مؤرخي العصر ، كان طلب فيل من الخليفة . واذا ما تأكد لنا — وكل مؤرخي عصره يقررون ذلك — ذوق شارلمان وميله لجمع الحيوانات النادرة ، وحشرها في حظيرة كان بناها خصيصاً لهذا الغرض ، واذا ما تأكدنا مما خبرنا معاصروه من انه شاد لهذه الحيوانات بناية خاصة في احد اجنحة قصره في اكس لاشابيل Aise-la-Chapelle ، نفينا كل غرابة عن هذا الحادث وهـذا الطلب . وما جنينات الحيوانات التي تفتخر اعظم المدن بحوزتها الا رجع صدى لهذه الحوادث التي ترويها علينا القرون الغابرة . فما من جديد تحت الشمس ، منذ ان اعتادت سمتها متدرجة من شروقها الى غروبها ! . سافر هؤلاء السفراء بصحبته موفدين من قبل الكونت جبهار Gebhard امير ترفيز Trévise ليطلبوا الى بطريرك القدس ذخائر من القديس جينيز Genés والقديس افجانيوس Eugéne فقدموا اذن المدينة المقدسة ونزلوا فيها ضيوفاً على بطريركها ، ولعل هذا اللقاء كان اول علاقات مسيحيي الشرق في فلسطين بالعاهل المسيحي الغربي شارلمان ! .

(٣) لم تعد بعثة شارل الى فرنسا الا في غضون سنة ٨٠٢ ، غير ان بطريرك القدس في تلك الأثناء كان اوفد اليه راهباً استقبله الملك في قصره باكس لاشابيل ، في اواخر كانون الاول ٧٩٩ وعاد هذا الراهب ادراجه الى فلسطين مصحوبا بكاهن اسمه زخريا ، كان ملازماً لقصر الملك . ولدى رجوعه الى الغرب رافقه راهبان من القدس في شهر تشرين الثاني سنة ٨٠٠ ، ولدى وصول هذه البعثة الى رومة حيث كان شارلمان بمناسبة حفلة تتويجه سلم علم القدس مزيناً بشعارها ، ومفاتيح

القبر المقدس ومسامير الصليب الحقيقية . فيقرر باسيلياف انه كان يستحيل على البطريرك ان يرسل مثل هذه الهدايا بدون علم وتصريح الخليفة . والحال ان الخليفة وشارلمان في تلك الآونة كانا مترصدين لنفس العدو ، و يتربصان له ليوقعا به . فمن جهة مملكة الروم في الشرق ما فتئت لهما عقبة يودان تذليلها ، ومن جهة اخرى ، كان الخليفة الأموي في اسبانية يثير عليهما القلاقل ويذكي لهما الشغب ! فاتفقت أهدافهما ، ولعل اتفاق الاهداف كان داعياً للتحالف والتضامن .

ولما ضعفت شوكة بيزنطية ، وانحصر نفوذها في الشرق ، بعد ما قضى عليه العرب لم يجد مسيحيو فلسطين من يلفتون اليه الأبصار لطلب الاستغاثة والنجدة سوى ذلك العاهل الفتي وتلك المملكة الفتية التي كان يرأسها . وما كانوا لينسوا انتصار جده في موقعة بواتيه سنة ٧٣٢ . . . ولكن هذا لا يعني ان الخليفة تخلى لشارلمان عن سلطة فلسطين كما اراد ان يزعم بعض مؤرخيهم . فجل ما هنالك رمز اراد به هرون الرشيد استمالة خدنه الغربي بالاعتراف له ببعض العلاقة بالمسيحيين في الشرق ، وعلى الحجاج الغربيين الذين يقصدون الى فلسطين للزيارة والتبرك . وفضلا عن ذلك تزعم رواية ترتقي الى القرن الثاني عشر ان شارلمان نال أيضاً ملكية الكنيسة التي عرفت باسم كنيسة القديسة مريم اللاتينية ، وحق بناية ما يشاء من كنائس ومستشفيات في القدس . ففي سنة ٨٧٠ قصد القدس الراهب برنارد فاستقبل في نزل اقامه الامبراطور المجيد شارل بازاء كنيسة القديسة مريم ، وانك لواجد هنالك أيضاً مكتبة عامرة غذتها غيرة واريحية ذلك العاهل ، وهنالك اثنا عشر بيتاً ، وحقول ، وكروم وبستان في وادي يوشافاط .

فهذا هو اصل العلاقة بين ملوك فرنسا والمسيحيين في فلسطين ، والتي اعاد الاعتراف بها سلاطين الترك في القرن السادس عشر عند ما وقعت الامتيازات سنة ١٥٣٥ ما بين فرنسوا الاول وسليمان القانوني .

(٤) ومما يثبت لنا صحة هذا الاستنتاج ، حسن العلاقات اللاحقة التي لم تنفصم ما بين الملكين . ففي سنة ٨٠١ عادت الى فرنسا بطريق افريقيا ، البعثة التي كانت غادرتها سنة ٧٩٧ ، ولم يعد منها الا اليهودي اسحاق ، فان رفيقيه كانا قد قضيا نحبهما في الطريق . وكان الفيل المرغوب فيه من جملة ما حمله اسحاق . ومع اسحاق سافر أيضاً سفيران مسلمان واحد باسم هرون الرشيد من

قبل الخليفة ، والآخر باسم ابرهيم بن الاغلب امير افريقية الشمالية . وكان كلاهما محملين هـــدايا للعاهل الفرنسوي من قبل سيديهما . ولـكن القافلة أرغمت على الافتراق عندما ارادوا ركوب البحر لان اسحق غلب على امره فلم يدر كيف يتصرف بالفيل إذ لم تتسع له الزوارق المهيأة . فسافر السفيران المسلمان بهداياهما وتركا اسحق في افريقيا منتظراً عودة الفوج بمراكب واسعة متينة لتحمل الحيوان الغالي . ومن الهدايا التي حملها السفيران المسلمان شبل اسد ، وفلو دب مع ذخائر من الشهداء الافريقيين وضعوها في كنيسة ليون الكبرى سنة ٨٠١ . واما اسحق فلم يتسن له الابحار الا السنة التالية (٨٠٢) عندما ارسل اليه الملك مراكب خاصة . وتتابعت الوفود بين العاهلين ما بين سنة ٨٠٢ و٨٠٧ ، ولم تكف على زمن خلفائهما ، ما دمنا نؤرخ بعثة اوفدها الخليفة المأمون سنة ٨٣١ الى الملك نويس التقي .

اثار وفود الفيل الشرقي إعجاب الجماهير في ذلك الحين ، فلذا لم تخل رواية من ذكره . واذا ما خلت بعض الروايات من ذكر البعثة الفرنسية الى البلاد الشرقية ، ولم يجر قلمهم باسم شارلمان واسم خليفة الشرق هرون الرشيد فانه لم يفتهم ان يدونوا هذا الحادث الغريب ، حادث وصول فيل الى فرنسا سنة ٨٠٢ . والشعراء تناولوا ذكره معلنين للملأ بان «هذه اول مرة ترى عيونهم مثل هذا الحيوان» . وزد على ذلك ان بعض الروايات تأبى الا تعطي لهذا الحيوان اسماً كبقية البشر ، فسموه «ابو العباس» ، وما كان علماء العصر ليتأخروا عن ذكره ودرس أخلاقه ، ومراقبة عاداته . لا بل اتخذ منه العالم الارلندي دكويل Dicuil برهاناً ليفند رأيـــي عالم آخر اسمه جوليوس سولينوس Julius Solinos من علماء الطبيعيات في القرن الثالث ، الذي يزعم بان الفيلة لا تبرك لتنام .

ولكن ابا العباس كغيره من الخلائق اناخ عليه ما اناخ على لبد وداهمته المنية فجأة سنة ٨١٠ بينما كان الملك عائداً به من فريزا Frise وهو يقطع نهر الرين . فرأى المؤرخون في موته هذا شؤماً على المملكة ، وعدوه نذيراً لما سيتراكم عليها من الويلات في السنين اللواحق .

حادث فقط لنتبين مقدار تأثيرهم وتطيرهم لموت الفيل ، فانا نقرأ في كثير من الروايات التاريخية لذاك العصر جملاً كهذه : «في السنة التي نفق فيها الفيل غادر بيبان ملك ايطاليا ، جسمه الفاني» ، او غيرها «الملك بيبان ابن الامبراطور ، مات في نفس الوقت الذي مات فيه فجأة ، الفيل الذيـــ

ارسله هرون» .

وليس بمستغرب ان يكون هذا الفيل احدث تأثيراً في عقول الفرنجة في ذلك العصر حتى انهم راموا ان يخلدوه في تصويرهم ونقشهم ، فنرى المهندسين على زمن الكارولنجية يصورونه وينحتونه في بناياتهم الغوطية . فنرى الفيل في العمارات ، كما نراه مصوراً بفن وزخرفة على غلاف كتاب الاناجيل ، والمخطوطات الكارولنجية · فتوراة شارل الاصلع Charles le Chanre تحمل منه رسماً في اطار على شبه ايقونة . وعلى انجيل الملك لوتير Lothaire ، نراه مرسوماً يعلو ظهره برج فيه جنود للدفاع والحرب . كما ان في متحف باريس الآن ، لعبة شطرنج كانت تخص شارلمان ، ولها فيل من عاج ، من صنع العرب . وقد نقلت هذه القطعة الثمينة من كنوز دير القديس دنيس . وهنالك رواية يصعب تحقيقها تزعم ان هذه القطعة كانت من الهدايا التي ارسلها هرون الرشيد الى العاهل العظيم . وهكذا تجد رسوم الفيلة تزين واجهاتِ البنايات والكتب ، وتجدها دعامة لأعمدة تعلوها ! وما اقوى ظهورها لأن تلك الأعمدة تسمق في الجو شامخة مع ضخامتها ! ولما كانت تلك الحيوانات مجهولة لدى السكان ، شعر احد المهندسين بحاجة الى ان يعرفهم بها فنقش تحت رسومها هذه فيلة Lui sunt elephantes في كنيسة القديس بطرس دولني St. Pierre-d'aulney في الشارنت السفلى في فرنسا Charente inferieure ومما يدل على جهلهم به ، فان مهندس كنيسة في كان Caen (فرنسا) في احد نقوشه ركز كل بناء الكنيسة فوق فيل ضخم ، وعلى عنقه رسم سائسه يشد بخرطومه كأنه رسن ، ليقوده . . .

ومما يثير العجب ان كفن شارلمان الذي ضم رفاته كان من حرير ومن صنع مناسج العاهل كما تشير اليه الكتابة اليونانية المرسومة عليه ، وعلى احدى جنباتها رسموا فيلة ! ؟ .

فعلى كل حال ، نرى من كل هذا ان هدية هرون الرشيد اثارت اعجاب الفرنجة ، وتمكنت من عقولهم وخيالهم ، فما عادوا ينسونها ! .

وهل نسيت قط فرنسا انها منذ ذلك الحين اصبحت صديقة لمسيحيي الشرق ، الذين التجأوا اليها بارسالهم رموز ائتمانهم واستنجادهم ، اذ بعثوا اليها بمفاتيح قبر فاديهم الذين يسكنون بجواره ويحمونه ؟ .

فان كان شارلمان الكبير نظر بعين الجد الى الصداقة التي قلده اياها خليفة العرب واخذ على

عاتقه الاهتمام بالمسيحيين في فلسطين ، و بكنائسهم وملاجئهم ، فان خلفاءه لم يكونوا دونه مروءة واباء . فان المؤرخين اجمعوا على انه فرض سنة ٨١٠ رسماً خصوصياً كان يجبى في مملكته بتنظيم ، لترميم كنائس الله في القدس ووضع ترتيبات خاصة بتنظيم الاعانات للاراضي المقدسة ، وانه وقف ارزاقاً قرب القدس حبس مدخولها على المزارات القدسية ، كما انه اصلح بنايات متداعية سواء خصصت لعبادة الله او لعيادة المرضى وايواء الغرباء ، وشيد غيرها ، ومنها كنيسة «حقل دماء» ومستشفى ومكتبة وسوق في داخل المدينة عرف بحي اللاتين ، و بنى ايضاً ديراً في جبل الزيتون وآخر للنساء قرب كنيسة القيامة(١) .

وكانت هذه الصلة التي تابعها خلفاء العاهل الفرنسي داعية لكثرة الحجاج الذين كانوا من الغرب يقصدون الى الشرق للتبرك بقبر المسيح ومهده وسائر الاماكن التي داستها قدماه وتقدست بمروره ! .

ليس من أربنا تتبع تاريخ هذه الصلة ، فان ذلك يتطلب مجلداً برأسه وقد سبقنا المؤرخون ودرسوه ، ولم يتركوا رغبة لمستزيد . انما وقفنا على هذا الحادث الذي يرويه مؤرخو الفرنجة ، وصمت عنه مؤرخو العرب ، لنرى مجال الشك والصحة فيه . ويأخذنا العجب لصمت المؤرخين العرب عنه بيد ان هنالك شبه سبب في وسعنا ان نقدمه لعله يميط لنا جانباً من اللثام ، وهو ان هذه العلاقة كانت عبئاً على المسلمين وكانت مصدر شقاق ومنافسة ، لأن فيها اعترافاً بيد اجنبية تتدخل عن غير حق في شؤون بلادهم ، وتجهر دوماً بهذا الفرق الواقف فاصلا بين مواطنين مختلفين ديناً واعتقاداً كأني بهذا الاختلاف الديني عقبة في سبيل الوحدة الوطنية المبتغاة . واما من جهة الغرب فنحن نفهم بيسر ان المؤرخين اطالوا حديثهم على هذا الحدث لانه يخولهم حقاً وامتيازات كانوا يعتمدونها لينالوا في اثناء تجوالهم في اقطار الشرق ، تسهيلات وراحة ، وليتمتعوا برغبات تجول في خاطرهم ما كانو ليحصلوا عليها لولا هذا الامر الجلل . فالصمت من جهة ميسور فهمه ، والتحدث الطويل من جهة اخرى بين الغرض ، واضح الاشارة .

---

(١) صديقة ومحامية : الخوري بطرس غالب (١٩٢٤)
الباب الثاني : في تاريخ الحماية — الفصل الاول : فرنسة والخلفاء العباسيون ص ٦٨

المنبر : يرجو المحرر من حضرات المؤرخين ان يتناولوا هذا الموضوع بالبحث ، فانه يعنينا جميعاً ان يدرس درساً وافياً

الارثوذكسية مبدأ انساني

للاستاذ عيسى بندك

رئيس بلدية بيت لحم

اعتقد مخلصاً ، ان الطائفية في حدودها الضيقة ، ليست شيئاً آخر غير الرجعية ، بل هي عبودية سافرة . واذا كان البشر مسيرين لا مخيرين ، في ان يمشوا مع قافلة التطور الاجتماعي ، فلا مندوحة ان ينظر كل عاقل الى مغزى الطائفية ، نظراً ممقوتاً . إذ يجب ان تكون الطائفية اسماً للتعريف لا معنى للتفريق والافان الامر يكون حكما على الحياة بالجمود .

ويشاء الله عز وجل ان ينقسم البشر الى طوائف مختلفة تمت الى اديان متباينة الاسماء ، ولكنها جميعاً تلتقي عند نقطة واحدة هي الحض على الفضيلة والمثل الاعلى ومناهضة الشر والرذيلة . ولعلي لا اكون قد قلت شيئاً جديداً ، اذا ما اعلنت بان جميع الاديان السماوية ، تكاد تكون مشتقة من منبع واحد ، بل تكاد تكون دستوراً واحداً ذا مغزى واحد ومعنى واحد وان اختلفت الاسماء والالفاظ والتعابير . ولعل تعدد الاديان ليس معناه بلبلة روحية ، بل لعلها حاجة روحية اقتضتها الظروف والبيئة وغريزة البقاء . ومن هنا نشأت المذاهب المختلفة باختلاف ظروفها وبيئاتها واستقرت في كل مذهب ، فلسفة خاصة ، او روحية خاصة ، لها طابعها الخاص . واذا كان طبيعياً ان يعتقد كل انسان بصحة مذهبه وصلاحه للحياة ، فانه من الجهالة بمكان عظيم ، ان يرضى الانسان ، بالحجر على عقله في زوايا ضيقة مظلمة ، فلا يمتد بصره الى ابعد من تلك الجدران المصطنعة. وعليه فان اعتقادي ان الارثوذكسية مبدأ انساني قبل ان تكون رمزاً او اسماً للطائفية : فحرية العقل هدفها ، وتحرير الروح من قيود الشعوذة مبداها . واذا شئنا ان نقرر الحقيقة فالارثوذكسية قد رضعت لبان الفلسفة اليونانية التي اضاءت مشاعيل الحضارة الانسانية والتي لا تزال تمدها بنور ساطع وهاج . ولا جدال بان الفلسفة اليونانية هي التي هذبت الطبع الانساني ، وهي التي صقلت المواهب وازاحت الستار عن العبقرية الخالدة التي سكبت وما زالت تسكب في قلب الانسانية دماً غزيراً من

دماء الوعي الفكري والبعث الروحي . .

ان هذا التفاعل بين الارثوذكسية والفلسفة اليونانية ، قد جعل من المذهب الارثوذكسي مصباحاً منيراً تنبعث منه أضواء الحرية العقلية والروحية ، لان في الارثوذكسية هذه روحاً وثابة ، ما لمست قلباً الا اذكت فيه ثورة ، وما حلت في نفس الا بعثت فيها سمواً وطموحاً . بل لعل الارثوذكسية الصحيحة هي التي تشعر صاحبها بان في قرارته إحساساً دافقاً زاخراً بقوة دافعة تهدف للخير حباً بالخير ، وترمز الى عقيدة عميقة بالاخوة الانسانية على اوسع معانيها . ذلك ان الارثوذكسية ، انسانية الروح ، عالمية المبدأ ، بل هي روح لا تحد ، ونور لا يصد .

واذا كان التاريخ مستودعاً للحقائق فان الارثوذكس العرب في هذه البلاد هم اول من رفعوا راية الثورة على الظلم ، فهزوا عروش العتاة ، وزلزلوا مقاعد المستبدين ، فكانت ثورتهم هذه الاولى من نوعها ، في هذه البلاد ، يوم كان العصيان يرقى بصاحبه الى أعواد المشانق . ولا جدال بان جذوتها المقدسة ما زالت متوقدة ، متوثبة ، لانها جذوة قدسيه تتألق فوق هيكل المثل الاعلى . واذا كان الموقف الحالي مشوباً بغمرة عابسة ، فان الروح الارثوذكسية كفيلة كل الكفيلة بتحقيق الآمال طال الزمن ام قصر .

لتكن حياتك كلها أملاً جميلاً طيبا
ولتملأ الاحلام نفسك في الكهولة والصبى
مثل الكواكب في السماء وكالازاهر في الربى
ليكن بامر الحب قلبك عالماً في ذاته
أزهاره لا تذبل
ونجومه لا تأفل

«ايليا ابو ماضي»

لمن القيادة

للسيد ابراهيم مطر
استاذ اللغة الانكليزية بالمدرسة العامرية الثانوية — يافا

لست ارغب التحدث عن قيادة الجيوش ، ولا فن تسيير الجحافل في ميادين الوغى مما له شأن في انتصار دولة او انكسار اخرى ، او له علاقة بالاعمال الحربية والعسكرية . انما ارغب ان اوضح تلك القوى التي تقرر مسالك العيش للافراد وتضمن للجماعات قيادتهم في مواكب الحياة . ولا بد لكل مفكر ان يتساءل عن تلك القوى التي تهيمن على الافراد فتسيرهم ، او على الجماعات فتدفعهم الى الانطلاق ، فاذا وقفنا لحظة أمام هذا الكون العجيب لا نراه قد وجد اعتباطاً ، ولا نلمسه يسير بدون انظمة ونواميس . وهذه الازمان التي تتعاقب نجد حاضرها يعتمد على ماضيها ومستقبلها وليد الحوادث الغابرة ، فليس المصير رهين الصدف والتقادير ، وليست الخلائق التي تعيش في رحاب الكون دمى في يد الاقدار ، او ريشة في مهب الرياح تقذف بها انى شاءت وكيف ارادت . فالناس يسيرون بموجب خطط مرسومة ومناهج موضوعة ، والذي يضع الخطط ويرسم المناهج هو المهندس الاعظم لهذا الوجود . إذن من الخطأ الاستكانة الى تلك العقيدة التي تجعل القيادة في يد الصدف والتقادير . قد تكون الاقدار سخية على البعض ، ضنينة على البعض الآخر . انما لا يستسيغ حكيم عاقل ان يقرن مجارى حياته ومسالك عيشه بالصدف والحظ والفرص المؤاتية .

ويتساءل البعض اليس الانسان ابن الاضطرار لا الاختيار ، فما كانت له اقل ارادة في المجيء الى هذا العالم ، ولا هو يستشار ساعة مبارحته ، وهل في وسعه ان يزيد قيراطاً على طوله ، او يغير شيئاً من لون عيونه . وكيف نجعله مسؤولاً عن حياته ساعة يقع القضاء الاكبر ، فتموج الارض وتهدم الزلازل مساكنه ، او تثور البراكين فتبتلع مدنه ودساكره ، او تفيض الانهار فتطفو على مزارعه وقراه وتمحوها من الوجود . وكيف نلومه يوم يهوي به جسر طالما صمد للعربات والمشاة على مر الايام وكر السنين . او تنزل عليه صاعقة من السماء طالما اعتادت الطبيعة ان تطلق مثيلاتها على

البلاد . اجل ، ان حريته معدومة في الاحوال الخارجة عن شخصه وهو بلا شك غير مسؤول عن هذه القوى التي لا تقع تحت سيطرته ، فهذا قضاء اكبر ، يسير بموجب خطة القائد المسؤول المشرف على كل الحركات والسكنات ، المهندس الاعظم الذي يرتب كل الاعمال والخطط . انما يتسنى للانسان الذي اوتي بعض الحرية والاختيار ان يكون مسؤولا عن بعض أعماله وتصرفاته ، فالقيادة في بعض الاحيان موكولة اليه فهو ربان سفينة حياته ، لان البوصلة في يده والدفة تحت تصرفه . والذي نراه ان القيادة ليست تنحصر في التقادير حصراً مطلقاً ولا هي موكولة الى ارادته بالكلية ، انما هي تأخذ منزلة بين المنزلتين ، فالقدريون الذين يمركزون القيادة في الصدف ، ليسوا على حق في دعواهم ، كذلك الذين يعتمدون على انفسهم ويضعون القيادة في شخصياتهم على خطأ في إقامة ذواتهم ربابنة لسفن حياتهم . فحرية الفرد في معالجة الحاضر ليست خاضعة للتقادير خضوعاً مطلقاً لانه لو كان هذا الواقع بحيث لا يكون اي اثر للحرية في ادارة دفة الحياة العملية والخلقية لما بقي ثمة فارق ادبي بين وجودنا ووجود العجماوات ، بل لكان من الفكاهة التفرقة بين الخير والشر ، ومن ثم فان حرية الفرد ليست مستقلة بالكلية ، وليس خياره مطلقاً ، إذ تصبح لا أهمية لأحكام القضاء التي هي فوق ادراكنا ، ولا معنى للقدرة الالهية التي تهيمن على اوضاع هذا الكون العظيم .

وما اسرع ان ارتفع صوت ثان يطالب بالقيادة بالاضافة الى التقادير والصدف الا وهو صوت السياسة ، فقد تكون اعتقاد عند الكثيرين ان السياسيين هم ربابنة هذا العالم ، لان الجماعات تتبع اوامر قادتها ، والجماهير تسير في ركاب زعمائها ، والامم تحيا ببعث روادها ومصلحيها . فها بعض الدول باسرها مدينة بوجودها الى جهود بعض الافراد إذ لولاهم لما وجدت تلك الممالك ولا كانت تلك الجمهوريات ، فهم كما يتراءى خالقوها ومكونوها . غير ان الحقيقة الراهنة ان الحوادث التاريخية الفاصلة والانقلابات الخطيرة كانت تفاعلاً من الجماهير لا نتيجة تدخل فئة قليلة من الناس او عمل نزر يسير من الافراد الموهوبين ، فقد يظهر زعيم في ظروف غير مؤاتية ، فلا يقترن اسمه بالجد والفخار انما تنفجر عبقريته ويؤاتيه السعد ساعة يجسم فكرة تتمخض في عقل الجمهور وتستقر في أعماق نفسيتهم . فهذا بسمارك الذي كان له اثر كبير في تسيير دفة السياسة الاوروبية في اواخر القرن التاسع عشر يصرح قائلاً : «ان السياسي وحده لا يستطيع عمل شيء حاسم ، وكل ما يقوم به هو

تجسيم أصوات تنطلق من الجماعة او ترجيع أصداء تعالت من افواه الجماهير . فالقيادة هي للفكر الاجماعي والوعي الجمهوري ، وما الزعيم سوى بوق يردد النغمات ويرجع الاصوات . وقد لا نستغرب حين ندرك انه تعذر على أصحاب الرسالات السماوية ان يقودوا العالم إبان حياتهم بالرغم من سمو رسالتهم وقدسية مبادئهم . فالفكرة التي نادوا بها احتاجت الى فترة من الزمن حتى تنتشر وتذيع وتشيع في النفوس وتينع في القلوب .

اذن قد وضح لدينا ان القيادة ليست موكولة الى التقادير والصدف ، ولا هي رهينة إشارة الزعماء والسياسيين ، فلا صوت القدر ، ولا صوت السياسة ، هو الموكول بالقيادة ؛ انما يتراءى لنا ان القيادة للافكار والمبادىء ، لان هذه على حد تعبير الشاعر الانكليزي ملتون — هي عصارة الحياة الثمينة المحفوظة في قوارير لجميع الاجيال . ولا مراء في ان الحكمة هي رائدة البشر في جميع العصور ، وهي البوصلة التي توجه دفة سفينة هذا العالم الزاخر . وقديماً نادى الفيلسوف الاغريقي افلاطون في حصر القيادة بيد الحكماء فهم الذين اصطفاهم دون غيرهم لتسيير دفة الحكومة في جمهوريته المثالية الخيالية . وعلينا ان نفرق بين المعرفة وبين توجيه المعرفة وكيفية استعمالها ، فجميل ان يحصل الناس على المعرفة ، انما اجمل من كل هذا ان تقرن المعرفة بالحكمة وبالتوجيه الصحيح والاستعمال الصالح ، وما أحلى ان ترى الحكمة المتفجرة من أعماق القلوب ، الكبيرة والعقول الجبارة تهيمن على شتى المسالك ، وتقود القافلة في مواكب الحياة . ان العالم في هذه الآونة يبكي افتقاره الى هؤلاء الحكماء ويندد بحاجته وعوزه الى مثل هؤلاء الهداة الذين يستطيعون القيادة في المسالك الرشيدة والتوجيه الى السراط المستقيم .

ان الناس رغم هذا الفيض من المكتشفات ، ورغم هذا التقدم العمراني والمادي ، يصرخون باكين ويندبون متأوهين ، وسرعان ما تسمع الهمسات تتجاوب وتتلاقى من هنا ومن هناك ان خلصونا من تعاستنا وارفعوا عنا هذه الويلات ، فقد افسد دخان المعامل عليهم صفاء الحياة ، وسلبهم هناءة العيش ، وهذه الحضارة المادية قد خلقت لهم كثيراً من المشاكل ، وسببت لهم الوان الشقاء . هم لا ينكرون فضلها في تخفيف بعض المصاعب ، وايجاد عقاقير شافية لكثير من الامراض ، فقد كان لها بعض الخير ، ومهدت للون من الوان الرفاهية ، انما لا يحيا الانسان بالخبز وحده ، وليست

التقدمات المادية لوحدها بكافية لتضمن راحة البال وطمأنينة الحياة ، ولا هي قمينة بالقيادة لانها تسلك طرقاً ملتوية وتخلق مشاكل مستعصية . فالصوت الذي يجب ان يطغى على كل الاصوات هو صوت الحكمة الذي في مقدوره توجيه المعرفة توجيهاً صحيحاً ، ولذلك ترتب تشجيع العلوم الاجتماعية لانها تنهض بالانسانية الرحيمة وتبعث بالروح الخيرة التي تسير الجماعة في مراقي السعادة وتظللهم افياء الحياة الطيبة .

ان القيادة يجب ان تتمركز في الشخصيات الجذابة والرجال المثاليين ، ويجب ان تعتمد في مشاكلها على الاهداف السامية والمثل العالية ، ويجب ان يتشرب روادها روح الخير والحق والجمال . وهذه القيادة الحكيمة جديرة بان تخلق الانسان الجديد الذي يعتمد في تفكيره على وحي الاجيال من ادب وفن وفلسفة ، وعلى حكمة الدهور الثمينة ونبض القلوب العامرة بالايمان ، وانتاجهم تلك الروائع والتحف الخالدة في فنون الادب وكنوز الفلسفة والكتب الالهية المنزلة ، ففيها نقرأ فيض الهام سجله الانسان في ابهج ساعات حياته ، وينابيع حكمة تفجرت بها العقول في اسمى لحظات التجلي . اجل قد يجدها كل قاصد ورائد في بطون الكتب التي جاد بها هداة البشر وأحباب الآلهة على أبناء هذه الدنيا في شتى العصور ، وحفظتها الايام كتراث خالد للذراري والاجيال . فالحكمة رائدة الجماعة ولها بلا مراء القيادة ، وبالحكمة يجب ان ننطلق ونسير في رحاب هذا الكون الفسيح فما نفتقر اليه هي هذه الفلسفة التوجيهية التي في مقدورها ان تمزج عبقرية العلم المادي بحكمة الاجيال الروحية ويكون من هذا المزيج قيادة صالحة للافراد والجماعات ، تنطلق بهم في مراقي السعادة ، ومواكب الحياة ، وتنتهي بهم الى محجة الامن والاستقرار .

«أرأيت رجلا يزدري ميوله الشخصية واهواءه الفردية في سبيل ما يعتقد انه الحق ؟

اسمعت برجل يضحي بماله وراحته — بل بحياته — لنشر لواء الحرية والعدل ؟

أأدهشك شخص يحتقر جميع نعم الدنيا للعمل في خدمة بلاده ونهضة امته ؟

هذا وذاك هم رجال «العقيدة» . هم قومة الله على ارضه ، واوصياؤه على شعبه . هم قبس من النور العلوي يشع على الناس لينير الظلمات التي تكتنفهم ويهديهم سواء السبيل» .

الدكتور قسطنطين زريق
الوعي القومي ٢٢٥ — ٢٢٦

صلاح الدين الصفدي

٦٩٦ — ٧٦٤ هـ

١٢٩٦ — ١٣٦٢ م

للاستاذ محمود العابدي

من جماعة أصدقاء صلاح الدين الصفدي — صفد

في سنة ٦٥٨ هـ (١٢٦٦ م) استرجع الملك الظاهر بيبرس قلعـة صفد من فرسان الهيكل الصليبيين ، وأسكن فيها خليطاً من المسلمين ، كان منهم العربي والـكردي والمغربي والتركي والفارسي والشركسي ، وأغدق عليهم الارزاق الوافرة ليعمروا صفد ويحفظوها ، وسرعان ما انصهرت هذه العناصر في بودقة العروبة ونسيت أصولها .

وقد عرف من حماة قلعة صفد «أيبك بن عبد الله» الذي انجب فيها ولده خليلاً بعد الفتح الظاهري بثمانية وثلاثين عاماً اي في سنة ٦٩٦ هـ . وقد نشأ خليل — الذي عرف فيما بعد بأبي الصفاء صلاح الدين الصفدي — كما ينشأ أبناء النعمة على اللهو والصيد والفروسية .

يقول خليل إن أباه أيبك لم يمكنه من أخذ العلم حتى يبلغ العشرين من عمره ، وحينذاك بدأ يقرأ الحديث والفقه واللغة ، ثم مال إلى الفن الجميل فكتب الخط المليح وبرز في هذه الصناعة . ولحسن الخط فقد بقي شيء ليس بالقليل من خطه الذي استحسنه مشاهير الخطاطين . وبرز في صناعة الرسم على هوامش الـكتب .

ثم حبب اليه الأدب فمال إليه بكليته ، وبكر في قول الشعر ، حتى لم يمض على أخذه بالعلم أربع سنوات حتى قال هذين البيتين :

وأهيف كالغصن الرطيب إذا انثنى تميل حمامات الأراك إليـــــه

له عارض لما رأى الطرف ناعسا أتى خده سراً ودب عليــــــه

ثم يأخذ في محاكاة كل قصيدة تعجبه مما يقع بين يديه . ومن أمثلة ذلك أنه حاكى قصيدة المنازي التي يناجي بها حمامة في سوق الطير بباب الطاق في بغداد . فقال وصفاً للورقاء في وادي صفد

الجميلين — وادي الليمون ووادي الطواحين :

وتنبهت ذات الجناح بسحرة بالواديين فنبهت أشواقي
ورقاء قد أخذت فنون الحزن عن يعقوب والالحان عن اسحاق
قامت تطارحني الغرام جهالة من دون صحبي بالحمى ورفاقي
أنى تباريني جوىً وصبابةً وكآبةً وأسىً وفيض مآقي
وأنا الذي أملي الجوى من خاطري وهي التي تملي من الأوراق

ولما وصل إلى هذه الدرجة من العلم والأدب أصبح يستطلع أخبار العلم والعلماء في المحيط الأسلامي الواسع ، فسافر الى دمشق ليأخذ العلم من علمائها فيحضر الدروس في الأموي مع الامام تقي الدين احمد بن تيمية في سنة ٧١٨ هـ . وكذلك يحضر دروس تقي الدين السبكي ، ويلتحق بحلقة الكاتب شهاب الدين ابي الثناء محمود في سنة ٧٢٠ هـ ويسمعه من شعره :

حكى هلال الأفق لما مضت له ثلاث واعتلى واستنار
مرآة خد بعضها ظاهر والبعض منها في غلاف العذار

ثم يتعرف على استاذه في الادب جمال الدين بن نباتة حتى تتوثق بينهما عرى الصداقة بحيث يعودان لا يصبران على الفراق .

ثم يرحل إلى حلب ليتعرف على علمائها ويسمع منهم ، وقد أسمع المولى شهاب الدين أحمد بن مهاجر في سنة ٧٢٣ هـ في وصف السيف قوله :

وسيوف إذا مضت في جراح قلت هذا بنفسج في شقيق
ينشد الجسم روحه في ظباها ودماه بين النقي والعقيق

وفي السنة التالية عاد إلى موطنه صفد ، فعرف فضله حكامها وعلماؤها . وهو يذكر كثيرين منهم ، ثم يلحقه حاكمها بكتاب «الدرج» الذين يساعدون كاتب السر في ديوان النائب . وقد كانت صفد إحدى نيابات الشام الست في أيام المماليك وهي : حلب ، حمص ، دمشق ، صفد ، الكرك ، طرابلس .

وكانت رسل ملك مصر إلى نائب صفد تحمل اليه أخبار العلم والعلماء فيها ، فشد الرحال شيخنا الصفدي إليها ، وهو يحمل تواصي النائب لذوي الشأن فيها . فلما وصل إليها احتفل له علماؤهـا وخلطوه بأنفسهم ، وأسمعوه من علمهم وأدبهم ، وأسمعهم هو كذلك . فمن ذلك أنه أسمع شهاب الدين الحسيني بن قاضي العسكر كاتب الدرج السلطاني بالقاهرة في سنة ٧٢٧ هـ :

علقتها من بنات الترك قد غنيت بدمع عاشقها عن منة الشنف
يلقى المتيم من تثقيف قامتهـا ما قد يلاقيه كوفي من الثقفي
إني لأعجب للعذال كيف رأوا شخصي وقد رحت بلاروح تردد في

وقوله مضمناً قولاً مأثوراً :

رشفت ريقك حلواً فلم يكن لي صبر
وسوف أحظى بوصلٍ « وأول الغيث قطر »

وفي شعبان سنة ٧٢٨ هـ تعرف على ضيف مصر العظيم أثير الدين أبي حيان الغرناطي ، استاذه في النحو ولازمه مدة طويلة ثم نال منه الاجازة التي كانوا يحرصون عليها حرصنا الآن على أخذ الشهادات الجامعية . ثم استأذن استاذه أبا حيان وعاد الى دمشق ونال الاجازة في الادب من ابن نباتة .

ولما سمع بصفي الدين الحلي أسرع بالسفر اليه فاجتمع به في « الباب وبزاعة » من بلاد حلب في سنة ٧٣١ هـ ولا يعود من عنده إلا وهو يحمل الاجازة منه في الشعر .

ثم يعود الى مصر فيعينه الملك الناصر في جملة كتاب الدست بديوان الانشاء ويكافه بكتابة بشارة وفاء النيل في سنة ٧٣٢ هـ وقد ختمها بهذين البيتين :

قد زاد هذا النيل في عامنا فأغرق الأرض بأنعـامه
وكاد أن يعطف من مائه عرى على ازار إهرامـه

وهو يروي لنا في تذكرته القيمة الشيء الكثير مما كان يجري في دور الحكومه وقصور السلطنة بالقاهرة ، من الاحوال السياسية والاخبار الاجتماعية . وقد ولاه الملك الناصر محمد بن قلاوون

تثقيف أولاده وتهذيبهم . واشتهر منهم الاشرف كجك الذي صار سلطاناً وعمره يتراوح بين الخامسة والسابعة . وكان الشيخ صلاح الدين الصفدي يضع القلم بيده ويجريه للتوقيع على المراسيم والتواقيع وغير ذلك من المصالح الرسمية . ومنهم الصالح والأشرف شعبان الذي كان يحبه اكثر من سائر إخوته ، فجمع له مجموعة من أبلغ ما كتب العرب في النظم والنثر ، وكتبها بخطه المليح وسماها «ديوان الفصحاء وترجمان البلغاء» وصار الاشرف شعبان يؤثرها على ما سواها من الكتب . ولا تزال هذه المخطوطة النادرة في فينا . ونظم خلاصة من تاريخ ابن عساكر في أرجوزة سماها «تحفة ذوي الألباب في من ولي دمشق من الخلفاء والملوك والنواب» ومنها نسخة خطية محفوظة في لننغراد .

ويظهر ان جسمه لم يتحمل جو مصر فأصيب بمرض . ولما علم بذلك صديقه جمال الدين بن نباتة ، ارسل اليه من الشام هذه الأبيات :

نثقل اذ نبغي بلطفك طبنـــا	من الهم والجسم الشريف نحيل
فهل أنت فينا كالنسيم بلطفـــه	طبيب يداوي النـــاس وهو عليل
وحاشاك من شكوى اعتلال سينقضي	قريباً كما نختـــــاره ويزول

ويقول في هذا الشأن أيضاً :

أقول وحر الرمل قد زاد وقده	وما لي إلى شم النسيم سبيل
أظن نسيم الجو قد مات وانقضى	فعهدي به في الشام وهو عليل

ثم يسرع بالعودة إلى دمشق فيعرفه صديقه ابن نباتة على الحافظ شمس الدين الذهبي الذي صار استاذه في التاريخ ويجيزه بأخذ ورواية مصنفاته في التاريخ والسير والمغازي . وقد أعجب الذهبي بالصفدي فقال عنه : «قرأ الحديث وتقدم في الانشاء وشارك في الفضائل وسار في الرسائل . سمع مني وسمعت منه . وله تواليف وكتب وبلاغة» .

ثم يغادر دمشق في سنة ٧٣٩ هـ متوجهاً الى أعمال الفرات فيتولى ديوان الانشاء في الرحبة ، «رحبة مالك بن طوق» ، وبقي هناك سنة واحدة ثم عاد الى دمشق . وكان الصالح بن الناصر قد جلس على سرير السلطنة في القاهرة ، فأرسل يطلبه من نائب دمشق فأرسله اليه ، وهنا ولاه الصالح

ديوان الانشاء . وتلك مرتبة لا تضاهيها أي مرتبة سوى مراتب أهل السيف والامارة . وله آثار في كتابة السر اوضحها ما كان في سنة ٧٤٥ هـ . وهذه الأعمال تملأ «التذكرة الصلاحية» التي تتألف من أربعين جزءاً .

وقد كثر الحساد حول شيخنا الصفدي في مكانه الرفيع فأخذوا يحيكون حوله الدسائس ويدبرون له المكائد ، وأخذوا يتقصونه تارة بالوشاية والاستغابة ، وتارة باحراجه بالأسئلة العقيمة . من ذلك ان بعضهم سأله عن قول قيس :

أصلي فلا أدري اذا ما ذكرتها أثنتين صليت الضحى أم ثمانيا

ما وجه الترديد بين الاثنين والثمانية ؟ فقال كانه لكثرة السهو وانشغال الفكر كان يعد الركعات بأصابعه ، ثم إنه يذهل فلا يدري هل الأصابع التي ثناها هي الركعات التي صلاها أو أنه صلى بعدد الأصابع المفتوحة .

فأعجب السامعون بسرعة خاطره وحسن تخلصه وسكتوا . ولكن نفسه الحساسة لم تطق هذا الجو المسمم بالفساد ، فعاد مسرعا إلى بلده صفد وأخذ يسجل فيها بعض كتبه في الأدب والسير والتاريخ ، ولم يلبث أن طلبه نائب حلب ليتولى فيها وكالة بيت المال . وله أشعار وقطع من النثر البليغ قالها في تدبير المال في هذه البرهة .

وقبل ان يغادر ابن نباته دمشق عائداً الى القاهرة وضع صديقه الصفدي في كتابة سر الشام ، حيث عمل فيها إلى ان بلغ من الكبر عتيا ومل الأعمال الرسمية ، فتركها وانقطع إلى تدون كتبه النفيسة التي سجل فيها حوادث زمانه ، وعلاقاته مع شخصيات عصره ، وأخيراً أصيب بالصم ومات بالطاعون في العاشر من شوال سنة ٧٦٤ هـ وله من العمر ثمان وستون سنة بعد أن خلف لنا اكثر من خمسمائة مجلد . ولحسن الحظ لم يضع منها إلا القليل . وقد يكون هذا القليل المحسوب ضائعاً في بيوت بعض الافراد .

وبعد فهذه خلاصة موجزة عن حياة أديبنا الكبير . ولكن ما هي كتبه وأعماله ؟ ولماذا يستحق اهتمامنا ؟ ذلك ما سأتناوله في بحث آخر .

معروف الرصـــافي

للاستاذ فايز الغول

بالـكلية الرشيدية بالقدس

يعتبر الرصافي آخر شعراء الجيل المنصرم وأحد كبار الفحول الذين نهضوا بالشعر من وهدة الضعف الى ذروة القوة ، ووصلوا أسبابه الجديدة بأسبابه القديمة مع مجاراة لروح العصر في الأخيلة والموضوعات والأساليب ، والتعبير عن مشاعر امة عريقة . والافصاح عن آمالها وآلامها .

ولد في بغداد سنة ١٢٩٠ للهجرة . في اسرة متوسطة الحال . من عشيرة كردية تقطن في نواحي كركوك ، يتصل نسبها بالبيت العلوي . فهي عربية اصلا .

لم ينل الرصافي حظاً عظيماً من الدراسة العالية في مدارس نظامية ، فقد درس في كتاتيب بغداد ثم دخل المدرسة الرشيدية العسكرية ، وكانت المدرسة الوحيدة يومذاك في بغداد . فمكث فيها ثلاث سنوات ، لم ينجح في نهايتها في الارتقاء الى الصف الرابع ، فتركها ، ولعل ذلك كان من حظه وحظ الادب العربي . إذ طفق بعدها يدرس على عدد من علماء بغداد اشهرهم العلامة محمود شكري الالوسي ، احد علماء زمانه بالعربية وآدابها . وقد لازم الدرس عنده زهاء اثنتي عشرة سنة صار في اثنائها معلماً في مدرسة ابتدائية رسمية ليستعين بما يتقاضي من المرتب الزهيد على العيش ، ومواصلة الدرس . ثم عين مدرساً لآداب العربيـــة في المدرسة الاعدادية الرسمية في بغداد براتب حسن ، بعد ان شهر وعرف فضله . ثم تقلبت به الاحوال ، وهو يزداد إطلاعا على الآداب العربية شعرها ونثرها ، فعين مدرساً للغة العربية في المدرسة الملـكية العـالية في الاستانة ومدرساً للاداب العربية في المدرسة الملـكية العالية في الاستانة ، ومدرساً للاداب العربية في مدرسة الواعظين التابعة لوزارة الاوقاف ، ومحرراً في جريدة سبيل الرشاد وهي جريدة عربية كانت تصدر في الاستـانة . وبعد الحرب العامة ضاقت به سبل العيش في العراق وسورية ولم يقدر حق قدره ، فاحتضنته مدينة القدس ، وعين مدرساً للاداب العربية في دار المعلمين (الـكلية العربية فيما بعد) ، وقـد عرفت له

القدس فضله . فأقيمت له حفلة تكريم شائقة دلت على تقدير ادباء فلسطين للنابغين من ابناء قومهم . ثم استدعته حكومة العراق لحاجتها اليه ، فرحل اليها فعين نائباً لرئيس لجنة الترجمة والتعريب في وزارة المعارف . وقد عرفت له اثار عدة ادبية وعلمية عدا شعره الكثير . وفي اواخر حياته استولى عليه اليأس من الناس ، فانغمس في الشراب والتدهور الخلقي وتوفي فقيراً معدما لم يشعر به احد حتى نعي للناس ، فافاقوا على هول الفجيعة به . وترك وصية هي غاية في التسامح والسمو الخلقي عن الحقد على الناس .

كان الرصافي شديد الاباء محباً للصراحة في الفكر والقول والحرية ، لا يعرف التساهل في كرامته وكرامة امته . ولم تترك له هذه الخلال صديقاً عند اولي الامر . ولكنها تركت له قلوب الشعب مكانة عظيمة .

اما شعره فيمتاز بفحولة اللفظ وجزالة التركيب ، وروعة المعنى ، ومتانة الحبك وقد رد للشعر العربي في العراق رونقه واشراقه في عهد ابي تمام البحتري ومسلم بن الوليد . وليس معنى ذلك انه كان محتذيا حذوهم او مقلداً اياهم . فقد كان شاعرنا مبتكرا مبدعا لا يقول الشعر الا اذا احس وشعر . وقد لمس ذلك واشار اليه بقوله .

لا يحسن الشعر الا وهو مبتكر ... واي حسن لشعر غير متكر

وقوله يصف شعره :

على ان لي طبعا لبيقا بوشيه ... نزوعا الى ابكاره دون عونه

ولعله بهذا يشير الى ما يقع أحياناً قليلة في شعره من الجناس والمحسنات البديعة ، فهو يذكر انها تجيء عفوا لخاطر لا متكلفة ولا نابية ، لان من رأيه بجنبع انواع البديع ، والعناية بان يكون الشعر سلسا مفهوما ، يعطي السامع قيادة . ولذا تسمعه يقول في موطن آخر :

لست بالشاعر الذي يرسل اللف ... ظ جزافا لكي يصيب جناسه
انا لا ابتغي من اللفظ الا ... ما جرى في سهولة وسلاسه
انما غايتي من الشعر معنى ... واضح يأمن اللبيب التباسه

ويقول أيضاً :

لعمرك ان الحر لا يتقيـد الا فليقل ما شاء في المفنـد

ولذا جاء شعره عصريا وان لم يقل في المتانة عن شعر فحول الاقدمين . وقد يسهل شعره مع المتانة حتى كأنه نثر في سهولة تناوله ، وجودة رصفه بحيث لا تستطيع ان تقدم لفظه او تؤخرها الا بتكلف او اخلال بالغرض كما قال :

وارسلته نظما يروق انسجامـه فيحسبـه المصغي لانشاده نثرا

نظم الرصافي في أغراض كثيرة . ولـكنه امتاز على غيره من الشعراء الاقدمين والمحدثين بفنون من الشعر كالكونيات والاجتماعيات ، ولا سيما المآسي والشعر الحزين . فهو مبدع هذا الفن في الادب الحديث بشكل رائع ، وان شركه فيه شاعر النيل حافظ ابراهيم . وقد ساعده على هذا الابداع حنانه المتناهي ، وعاطفته الرقيقة ، ودقة احساسه ، وسوء عيشه في اغاب حياته . اسمعه يقول من منظومة حماسية عنوانها «الفقر والسقام» :

تسمع الاذن منه صوتاً حزينـاً راجعاً في حشا الظلام كمينـا
يملأ الليل بالدعاء انينـــا رب كن لي على الحياة معينا
رب ان الحياة اصل عذابي

وجع في مفـاصلي دق عظمي ودهـــاني ولم يرق لعـدمي
عاقني عن تكسبي قوت يومي رب فارحم فقري بصحة جسمي
ان فقري اشد من اوصابي

يا طبيبـاً واين مني الطبيب حال دون الطبيب فقر عصيب
لا اصـاب الفقير داء مصيب ان سقم الفقير شيء عجيب
بطلت فيه حكمة الاسباب

اي قلب ولو انه قد من صخر لا يتصدع لهذه الشكوى التي تلفح الضمائر لو تجد طريقها اليها . شكوى شاب فقير معسر ، لا يجد علاجاً الا التضرع الى الله حتى لا يفقد عمله ، ويرى ان فقره

اشد من اوجاعه . لانه يعتاش من عمله ويعيل اخته ، ولكن الموت لا يرحمه ، ثم تقضي اخته حزناً وفقرا . والمنظومة طويلة نكتفي منها بالاشارة اليها .

وقد زاد شعره تأثيراً في هذا البـاب وابواب اخرى انه نحى فيها منحى قصصياً بارعا يستفز الشعور ويحرك العواطف ، ويثير الوجدان . ولكن هذا الملك القصصي لم يصل الى القصة الشعرية الطويلة المعروفة في التاريخ الادبي بالشعر القصصي ، ولكنها اقرب الى ما يعرف في الاصطلاح الادبي الحديث بالاقصوصة . وقد سبق الرصافي شعراء العصر في هذا الفن القصصي ، وبرز على من تناوله منهم فيما بعد ، باكثاره منه ، ودقة وصفه ، حتى ليخيل الى السامع انه يصف مشاهد حقيقية رآها وسمع حوارها واشترك فيها او في بعضها . كالفقر والسقام المتقدمة الذكر ، وكقصائده ام اليتيم ، واليتيم المخدوع ، وام الطفل في مشهد الحريق ، وغيرها .

وكذلك قصائده في الاجتماعيات فيها ما فيها من الحزن والوصف القصصي كقصيدته الارملة المرضعة ، وويلات الحرب ، والمطلقة ، والمهجورة ، او مشهد الحسن في الحزن . وقد حلل عيوب المجتمع ونضا عنها استار التضليل والتمويه ، فبدت شوهاء المنحى القصصي في بعض اشعاره الوطنية كقصيدته رؤياي الصادقة . وقد وصف الطبيعة بعدة قصائد منها : ليلة في دمشق ، وتأثير التربية ، والغروب ، وكثير غيرها ، ولولا ضيق المجال لاوردنا كثيراً منها كشواهد . ولكنا نحيل القارئ على ديوانه ، حيث يجد افضل غذاء لوجدانه ، او اشباعاً لميوله ورغباته .

اما الوطنيات فتكاد تستغرق عامة شعره ، فهي تشمل الابواب التي تقدمت كما تشمل غيرها كالتاريخيات وشعر الوصف والتغني بجمال بلاده ، والحث على النهوض ، والحض على العمل المجدي جاء فيها قومه بما يحبون ، وصارحهم بما لا يحبون . فتناقلتها الالسنة ، وتحدثت بها المجالس وصفق الناس لتلاوتها ، مع ان فيها ما يستنزف الدمع ويدمي القلوب . وكان منها صيحات عملت على تقويض الاستبداد الحميدي ، واذكاء روح العمل المجدي ، وتقويض دعائم التعصب الديني والطائفي وفي ديوانه باب خاص بالكونيات اشرنا اليه سابقاً . وهي امور لم يكثر منها الشعراء المعاصرون عدا الزهاوي والرصافي فيما اعلم . وهي عند الرصافي من الجودة بحيث لو كانت القصيدة نثراً لكانت مقالة جيدة مطابقة لأحدث النظريات العلمية . ولم يضرها الخيال الشعري في شيء ، بل جعلها خفيفة

مستساغة ، وفتح فيها ابواباً كبيرة للتأمل كقوله :

ولما رأيت الكون في الاصل واحداً عجبت لان الخلق فيه ضروب
الا ان بطناً واحداً انجب الورى كثيرين في أخلاقهم لغريب
وان فضاء شاسعاً قد تضاربت بابعاده ايدي القوى لرهيب
وان اختلاف الآدميين سيرةً وهم قد تساووا صورةً لعجيب

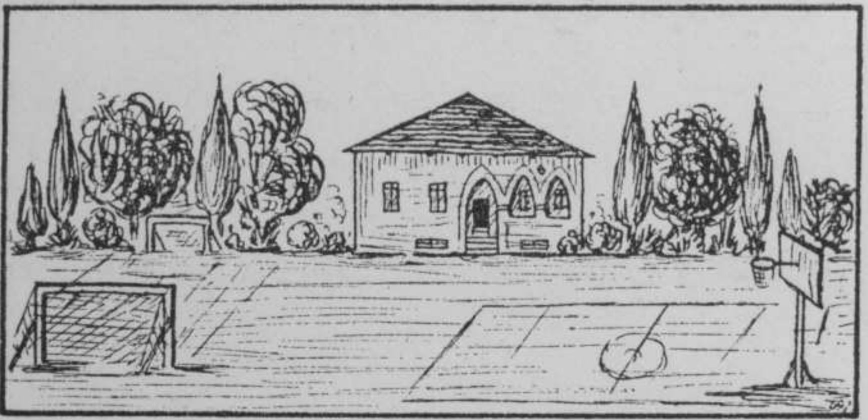
وقد اكثر الرصافي الدفاع عن المرأة دفاعاً حاراً مجيداً ، واثره لا يقل عن اثر غيره من المصلحين فيما وصلت اليه حالها اليوم . فهو تارة يشرح للناس احوالها ، وطوراً يلفت انظارها الى وجوب الخروج من ظلمة الجهل وسجنها الى نور الحرية ، ويقيم الدليل على ان ارتقاءها موافق لروح الدين الحنيف . وان هذا الجهل الذي يخيم عليها ، والقيود التي ترسف فيها ليست من الدين في شيء . ويضرب المثل بما اسند الى النساء في عصر صدر الاسلام من المهام العظيمة ، كمرافقة الجيوش ، وتضميد جرحى الحرب ووقوع بعضهن في الاسر . وطوراً يلتفت الى الرجال فيلمس الجانب الحساس من نفوسهم ، ويعزو الى جهل المرأة مربية الاجيال ، وصانعة الرجال ، ما هم فيه من خسف وتقمص لرداء الخزي .

الم ترهم امسوا عبيداً لانهم على الذل شبوا في حجور اماء
وهان عليهم حين هانت نساؤهم تحمل جور الساسة الغرباء

* * *

وما العار ان تبدو الفتاة بمسرح تمثل حالي عزةً واباء
ولكن عاراً ان تزيا رجالكم على مسرح التمثيل زي نساء

هذا هو الرصافي في عرض موجز سريع كلمح الطرف ، وانا أعلم أن شاعراً كالرصافي لا يقدر بمثل هذه الكلمة ، ولو طالت . ومن حقه علينا ان ينبعث نفر من ادبائنا لدراسة النواحي المتشعبة في شعره ، من حيث المادة والموضوعات واللغة والأساليب ، ثم تجعل هذه الدراسات في كتاب يخرج للناس ، فلعلهم بذلك يؤدون بعض الواجب له ولتاريخ الأدب .



أنباء الأندية

نشرنا في العدد الماضي من المنبر ما وصل الينا من معلومات عن عدد من الاندية الارثوذكسية ، لكن ظل ثمة عدد كبير من الاندية والجمعيات لم تصلنا اخباره ، فنرجو من القائمين على شؤون هذه المؤسسات ان يتفضلوا علينا بذلك . فليس ثمة شيء يثلج الصدر مثل معرفة النشاط الفكري والاجتماعي والرياضي الذي تقوم به هذه المؤسسات القومية .

اننا نكرر الرجاء .

وبهذه المناسبة فاننا نتقدم الى القائمين على شؤون الاندية والجمعيات والمؤسسات الفكرية الاخرى ان يتفضلوا علينا بانباء شهرية عن اعمال المؤسسات لننشرها في المجلة .

فالمنبر للجميع ، فتقدموا ؟ المحرر

من الجمعيات الارثوذكسية بفلسطين

١ — جمعية تعاون العمال الارثوذكسيه بيافا

أعضاء الهيئة الادارية ٩

وغايتها العناية بشؤون العمال من حيث تمتين الحياة التعاونية وتقوية أساليبها فيما بينهم .

٢ — جمعية السيدات الارثوذكسيات

لعضد اليتيمات — يافا

أعضاء الهيئة الادارية ١٢

تعني الجمعية بثلاث فرق للمرشدات وقد أقامت خمس حفلات في العام الماضي .

يأتيها سبع مجلات .

وتدير الجمعية مدرسة واحدة نهارية تؤمها ٣٦٨ طالبة .

من الانباء

الهيئات الادارية الجديدة

تم في مستهل العام الجديد انتخاب الهيئات الادارية الجديدة في عدد من الاندية والجمعيات ، وها نحن اولاء ننشر هنا ما وصل الينا ، راجين ان توافينا بقية الهيئات بهيئاتها الادارية الجديدة لننشر الاسماء في هذا الباب .

— القدس —

السادة : حنا سلامه (الرئيس) ، حنا عطاالله (نائب الرئيس) ، ميشيل قطران (السكرتير) ، حنا فران (امين الصندوق) ، جميل خوري (مساعد السكرتير) ، قسطندي منى (مساعد امين الصندوق) ، وحنا منى ، روك فراج ، سابا سلطي ، اسحق فانوس ، جورج لوصي ، ابراهيم حرامي (أعضاء) .

— حيفا —

السادة : ادوار قطران (الرئيس) ، نصري غنطوس (نائب الرئيس) ، حنا نقاره (سكرتير) ، اديب سيقلي (مساعد السكرتير) ، خليل اشقر (امين الصندوق) ، انطون حبايب (كاتب حسابات) ، وحنا زاروبي ، جوزيف مجدلاني ، فوزي توما ، جبرا حماتي ، توفيق طوبي ، جورج قنازع (أعضاء) .

« كتبنا »

ننشر في هـذا الباب انباء النشاط الفكري في هذه الديار ، وكل ما نرجوه ان يساعدنا المؤلفون الكرام لنقوم بهذا الواجب على خير وجه
« المحرر »

فلسطين من خلال ضباب الدعاية

Palestine Through the Fog of Propoganda

لميشيل بك ابكاريوس

٢٤٠ صفحة — هتشنسون — لندن

عمل ميشيل بك ابكاريوس موظفاً في حكومة فلسطين المركزية مدة طويلة تولى فيها مناصب رفيعة ، وعرفه النـاس خادماً اميناً لمصالحهم . وانشأ مزرعة نموذجية فعرفـه المجاورون صديقاً معيناً لهم . وطلع على الناس بهذا الكتاب فرأوا فيه اديباً . فالكاتب يتناول قضية فلسطين تناول العارف لها ، الملم باسرارها ، المطلع على تاريخها ، ولـكنه يعرضها بقلم الاديب.

في الـكتاب اربعة عشر فصلاً ، يحـار القارىء ايها يفضل ، ان كان ثمة مجال للتفضيل. فكل فصل منها جزء قوي يتم هذا البنيان الكامل .

« ن . . . »

العالم القديم — الجزء الثاني

للاستاذ نقولا زياده

٤٠٤ صفحات — المكتبة العصرية — يافا

هذا الـكتاب هو تتمة لـكتاب العالم القديم الذي صدر منه الجزء الاول قبل عام تقريباً . وقد تناول المؤلف في كتابه الجديد تاريخ الرومان منذ ظهورهم وتابع تطورهم حتى سادوا عالم البحر المتوسط . ولـكن الجديد في هذا الكتاب كثير . فالترتيب جيد ، والاسلوب اخاذ ، والمادة غزيرة . وقد عرض لنا الاستاذ زياده في هـذا الـكتاب تاريخ سورية وبقية بلاد الشرق الادنى عرضاً وافياً ، واوضح الدور الذي مثلته في تاريخ العالم القديم . كما تناول العرب قبل الاسلام ، والعلاقات التجارية بين حوض البحر المتوسط والهند والصين .

وقد وضع المؤلف عدداً من الملاحق الهامة للـكتاب بحيث اصبح وافياً بالحاجة العلمية .

والـكتاب كثير الصور والخرط . والذي نعتقده انه سيكون نافعاً للجميع — فيفيد منه الاساتذة والطلاب وعامة القراء . « د . . . »

تركيا الحديثة

للاستاذ محمد عزت دروزة

٣٥٥ صفحة — مطبعة الكشاف — بيروت

أقام الاستاذ دروزة في تركية من سنة ١٩٤١ الى سنة ١٩٤٥ ، فعرف البلاد واهلها ودرس نهضتها وحياتها ، ورأى ان ينقل الى قراء العربية نتيجة معرفته ودرسه واختباره ، فكان من ذلك كله هذا الكتاب القيم . وقد سد الاستاذ دروزة بذلك فراغا طالما شعرنا بوجوده .

ويتناول المؤلف في كتابه الحركة النضالية الاستقلالية والخطوات التشريعية الانقلابية وحزب الشعب والقرية التركية والحركات العلمية والثقافة والاقتصادية والتشريعية والادارية .

وفي الكتابات جداول احصائية عديدة تشفي غليل الباحثين . ولكن كنا نود لو ان الكاتب تناول تركية ببحث جغرافي تمهيداً لهذه الفصول القيمة ، او لو انه ارفق بالكتاب خارطة لتركية .

« ن . . . »

التطور الاجتماعي والاقتصادي

في فلسطين العربية

للسيد محمد يونس الحسيني

٢٠٥ صفحات — مطبعة بيت المقدس — القدس

يسرنا ان يتقدم شبابنا المتعلم الى حياتنا فيدرس نواحيها المختلفة ليدلنا على مواطن القوة والضعف فيها ، تمهيداً لاصلاح ما يجب اصلاحه . والكتاب الذي نتحدث عنه هنا هو احدى هذه المحاولات . فالمؤلف رأى ان حياتنا آخذة في التطور ، وهذا التطور يقتضي منا ان نعيد النظر في نظمنا الاجتماعية والاقتصادية ، والذي فعله هو انهساير هذا التطور وتعرف الى العوامل المؤثرة فيه — قديمها وحديثها . ومن هنا يبدأ كتابه باستعراض تاريخي يتناول ما يمت الى موضوعه بصلة قوية . فاذا انتهى من ذلك اخذ بدرس اسباب المعيشة ومستواها ، عارضاً النظم الاقتصادية ، شارحاً الاسس الاجتماعية ، مبيناً النتائج التي وصل اليها ، آملاً ان يكون قد أثار عند القراء مشاكل ومسائل وقضايا تمهيداً للوصول الى حلول لها .

« ن . . . »

صور من التاريخ العربي

للاستاذ نقولا زياده

٣١٢ صفحة — دار المعارف — القاهرة

يقول الاستاذ زياده في كلمة وجهها الى القارىء الكريم في كتابه «في التاريخ العربي قاعات قل داخلوها ، وسبل قل طارقوها ، وزوايا قل والجوها . وفي هذه القاعات والسبل والزوايا خير كثير لو انصفها الناس» .

«وهذه الصور التي اقدمها لك هي ثمرة جهد بذل في سبيل التعرف الى تلك النواحي المهجورة من تاريخنا» .

وقد قرأت هذا الكتاب فوجدت فيه لوحات ممتازة — اتقنها مصورها كما اتقنها من قبل الذين صنعوا حوادثها .

وليس التجويد غريباً على الاستاذ زياده ، فقد عودنا اياه ، ولكنه في هذا الكتاب كان ، فضلاً عن تجويده ، فناناً طريفا . وهذه ناحية لم نكن نعرفها عنه من قبل .

فليهنأ الاستاذ كتابه ، وليهنأ القراء متعة يجدونها فيه .

«ا . . .»

الناطقون بالضاد في امريكا

وضعه بالانكليزية

السيدان حبيب كاتبه وفرحات زياده

ونقله الى العربية مع تعليقات قيمة

البدوي الملثم

١٠١ صفحات — المطبعة التجارية — القدس

لمعهد الشؤون العربية الاميركية في نيويورك خدمات جلى للعرب في الحقل السياسي والثقافي والاقتصادي . ومن خدماته انه نشر هذا الكتاب باسم :

Arabic-Speaking Americans

ليطلع الغربيين على مدى النشاط الذي يقوم به العرب في اميركا . وقد رأى البدوي الملثم ان ينقل هذا الكتاب الى العربية وان يضيف اليه شروحاً وحواشي تزيد في الفائدة منه .

ويشمل الكتاب ابحاثاً عن المهاجرين الاوائل الى اميركا ، والسنين الاولى لهم هناك ، وانواع الاعمال التي يتعاطونها والصحف التي يصدرونها ، والاتجاهات الادبية التي كانت تسيطر على الادباء والشعراء منهم ، ويبين الكتاب مشاركاتهم العلمية والفنية والصناعية في الطب والاختراع وغيره .

«ن . . .»



اخي القارىء الكريم

اود ان يكون هذا الباب مجالا لتبادل الرأي بيننا ، فتتحدث الي ، كما اتحدث اليك ، في جميع المسائل التي تعرض لنا — لك ولي . فهل لك ان تحقق هذا الامل ؟ « المحرر »

القضية الاولى

«حياة حافلة بالجهاد ، وايام كلها نضال» ، هذا ما نسمعه عن انفسنا وعن رجالنا من مدة لا تقل عن ثلاثين سنة . ونحن ننتظر ان يكون لهذا النضال نتيجة . ولكننا نفتش عن الثمر والأثر والنتيجة فلا نعثر على شيء ، وان كان ثمة شيء ، فهو قليل .

وفي هذا الامر كله مدعاة للتفكير ، وفي هذا كله ما يحملنا على ان ننظر في شؤوننا من جديد ، لنرى السر في هذا الجهد الضائع . والذي اعرفه من تحدثي مع كثيرين حول هذا الموضوع هو ان اكثر الناس يلومون «القيادة» ، فيقولون عنها انها هي التي قصرت ، وهي التي تراخت . وقد يكون الناس على بعض الحق في ذلك ، ولكن لهذا الامر خطره الكبير . فهو من الجهة الواحدة يلقي باللوم كله على قوم هم خارجون بالنسبة لكل واحد منا ، ومن ثم يبرر تراخي كل فرد وتهاونه . ومن الجهة الثانية ينزع عن الافراد حق قيادتهم لنفوسهم وتوجيههم لها .

وكل هذا تخلص من المسؤولية الادبية لا يجوز ان يوجد في امة منظمة حياتها مرتبة شؤونها . فما قولك بامة بحاجة الى كل جهد لتتمكن من الصمود امام التيارات المختلفة التي تصدمها من جميع الجهات ؟

يخيل الي ان التقصير الاساسي الذي قادنا الى هذه الحالة هو «تقصير» الافراد نحو نفوسهم ومن ثم تقصيرهم نحو امتهم . فلست اعرف كيف يصلح رجل اهمل حياته الخاصة لتصدر مكان الزعامة في حياة امته . وعندي ان السبب الاول في هذا التخبط يرجع الى امر واحد وهو ان «الناس» يعيشون في بلادنا بدون ان يكون لهم «برنامج» يسيرون عليه .

والبرنامج الذي اشير اليه الآن هو برنامج روحي فكري ، لا برنامج مادي . ذلك ان التفكير المادي موجود . فكل واحد يفكر في خير طريقة للحصول على العيش وغير ذلك . ولكن اين البرنامج الذي يسير عليه الفرد ليكون منه ، في الوقت المناسب ، «زعيم» لنفسه ومرشد وقائد ، وبذلك يهيء نفسه لان لان يكون جزءاً حياً من امته وجماعته !

ولعلنا لا نختلف في وجوب ان يكون لكل منا برنامج ، ولكن ما هي الاسس التي يجب ان يرتكز عليها هذا الامر ؟

اعتقد جازماً ان الانسان لا يستطيع ان يخطو خطوة واحدة في سبيل اي عمل قبل ان يعرف نفسه . وهذه المعرفة امر عسير يتطلب مراناً وتفكيرا ، اذ عليه ان يقرر اموراً كثيرة ليتمكن من وضع نفسه في المكان المناسب لها تماماً ، لا من حيث مقدرته على عمل الاشياء فحسب ، ولكن من حيث انه له رأي خاص وفلسفة خاصة في الحياة . وما لم يصبح للمرء فلسفة خاصة فهو لا يعرف نفسه .

وقد يخطر لك ، ايها القارىء الكريم ، ان تسأل عن الامور اللازمة لتقرير معرفة النفس . وانا ارى ان من حقك ان تسأل ، اتنتظر مني جوابا ؟ اذاً خذ هذه الاسئلة واجب عليها لنفسك : ما هي علاقتك انت ، ايها الانسان العادي ، بهذا الكون الذي تعيش فيه ؟ ما هو ايمانك بالخالق وبالخليقة ؟ هل فكرت في غاية هذا الكون ووجودك فيه ؟ وان كنت قد فكرت فهل وصلت الى نتيجة حاسمة ؟ وهل اقتنعت برأيك فاتخذته عقيدة فلسفية لك ؟ وهل انت مطمئن الى ان هذا الكون لا يتم وجوده الا بوجودك انت مع هؤلاء الملايين الذين يعمرونه ؟ وهل انت واثق من انك

«حجر هام» في بناء هذا الكون واتمام عمله ، بصرف النظر عن نوع الحياة التي تحياها ونوع العمل الذي تقوم به ؟

اذا كنت قد فكرت في هذه الامور ، وخرجت منها باجوبة صريحة مع نفسك ، فانت استطعت اذن ان تخطو الخطوة الاولى نحو معرفة نفسك اي «علاقتك بالكون كله» .

وهل دارت في نفسك بعد ذلك هذه الاسئلة : ما هي علاقتك بجارك ؟ ما هو ارتباطك بهذه الجماعة التي تعيش بينها ؟ والى اي واحدة من هذه الفرق تنتسب ؟ وما هي الروابط التي تقرر هذا الانتساب ؟ هل قرأت تاريخ الجماعة التي تعيش في وسطها ؟ هل فكرت بلغتك التي تتكلمها وجربت ان تتصور ماذا كان يصيبك لو انك تكلمت لغة غيرها منذ طفولتك ؟ اذا فكرت في هذه المسائل ، فانت تسير شوطاً آخر نحو معرفة نفسك .

وهل عرضت لك أيضاً قضية المذهب السياسي او الاجتماعي الذي تتبعه ؟ هل خطر لك ان ترى اي النظريات الاقتصادية او اشكال الحكومة هو الذي يؤمن الخير لاكبر مجموعة من الناس ؟ اذا فعلت ذلك فانت تريد ان تقرر نوع الحكومة وشكل النظام الاقتصادي الذي تريد ان تعيش في ظله ، ومعنى هذا انك تسير خطوة ثالثة في سبيل معرفتك لنفسك .

علاقتك بالكون وعلاقتك بالجماعة التي تعيش بينها (بامتك) وعلاقتك بالحكومة (التي تريدها) هي العناصر الثلاثة التي تكون معرفتك لنفسك .

وعندها تنتقل الى أمر آخر وهو ان تعرف حاجة امتك وجماعتك ، لتتمكن من خدمتها بافضل الطرق . وانت إذ تخدم امتك تخدم نفسك .

وبعد فهل انتهى بنا الأمر ؟ هل تكفي معرفتنا انفسنا لتكوين برنامج لنا ؟

الجواب على هذا انها لا تكفي ، ولكنها هي الخطوة الرئيسية . فانت تعرف نفسك ، وتعرف حاجات امتك ، وتتقدم لخدمتها على هذين الاساسين . وبعد ؟

اسأل نفسك بعد ذلك عن الروح التي تتقدم بها للعمل ! هل انت مؤمن بما تقوم به ؟ هل انت ممتلئ النفس حبوراً ونشاطاً وانت تتم هذا العمل ؟ ام انت «برم» به وانما تقوم به لانك مرغم ؟ من حق امتك عليك ان تخدمها وانت مؤمن بعملك وقيمته ورسالته ، من

حقها عليك ان تعمل من اجلها وانت منشرح الصدر ، ومن حقها عليك ان تقدم لها عملاً سداه الثقة ولحمته الاخلاص . ولن تستطيع ان تفعل ذلك الا اذا اقتنعت انت بان عليك رسالة ، وبان في امكانك ان تحقق لامتك جزءاً من الخير الذي ترجوه .

وبعد فالمعرفة والايمان توفرا فما الذي يأتي بعد ذلك ؟ هو ان تسير ! فما يكفيك ان تعرف نفسك وتقرر موقفك وتؤمن بما تريد ، ولكن يتحتم عليك ان تسير في سبيل ما تريد .

والسير امر صعب . لقد اعتدنا في هذه الايام على ان نتنقل بالسيارة وغيرها متى حدثتنا النفس بالاسفار . ولذلك اصبح السير اصعب علينا منه على اجدادنا . اضف الى ذلك ان السير — اي العمل — يعرض المرء للانتقاد ، والانتقاد يخافه البعض ويمجه البعض الآخر . ولكن كل هذه الامور ثانوية . لا تسمح لشيء ان يحول دونك والعمل . العمل عنصر هام من عناصر الحياة والسعادة . والسير دليل الحياة . والذي يقف جامداً لانه يخشى النقد او يخاف اللوم حري بان يدفن حيا ، او على الاقل ان يسقط حسابه من حياة الامة .

ولكن انت تستطيع ان تفيد من النقد : نقد الناس ونقد النفس . وانت تستطيع ان تتعلم من الاخطاء ، من اخطائك او من اخطاء غيرك . وعندها تستطيع ان تجود عملك . نعم تعلم من جميع الاخطاء . واتقان العمل الفردي ، بعد الغلطة الاولى ، وهو اتقان لعمل الجماعة كلها ، في النهاية .

من الناس من يقف عند غلطته يندب سوء حظه ، ويشكو الزمان ، وغدر الاخوان وغير ذلك . ولكن الوقت قصير ، والغلطة لا يمكن ان تزول ، ولا فائدة من «البكاء والنوح والعويل والندب» . المهم ان تنظر الى الغلطة نظرة فاحصة ، فاما وجدت فيها عبرة افدت منها والا تركتها ، وسرت نحو العمل الثاني ، نحو الخطوة الثانية .

اشعر انني وصلت الى نهاية الفسحة ، دون ان اصل الى نهاية الحديث ، ولكن أرجو ان يكون في المستقبل متسع للتحدث الكثير فيما بيننا . والى ان نلتقي ، ارجو منك ان تضع هذه النقاط امامك ، وان ترى الى اي حد يمكنك ان توافق على اسس هذا البرنامج :

ان تعرف نفسك ، وان تؤمن بعملك ، وان تسير قدما ، وان تفيد من الاخطاء والغلطات ، وان لا تقف نادبا معولا باكياً عند خسارتك .

ادرس هذه النقاط ، ووافني برأيك ، وانا لك من الشاكرين ، لعل اسس برنامجي هذا بحاجة الى تغيير او تعديل . والى اللقاء ؟

المحرر

حضرة محرر المنبر المحترم

بمناسبة ما نشر في العدد الاول من المجلد الاول من «المنبر» عن مدرسة المصلبة ، رأيت ان انقل الى حضرات القراء ما رواه ابن فضل الله العمري في كتابه المسالك والممالك الجزء الاول . والعمري الف كتابه في اوائل القرن الرابع عشر مسيحي .

وقد جاء في كتابه « دير المصلبة وهو بظاهر مدينة القدس الشريف في شامها بغرب . وهو دير رومي قديم البناء ، بالحجر والكلس . محكم الصنعة ، مونق البقعة . في بحيرة من اشجار الزيتون والكروم وشجر التين ، بازاء قرية ، تجري على الدير بمرسوم السلطان .

وهذا الدير دخلت اليه ورأيته . وفيه صور يونانية في غاية من محاسن التصوير ، وتناسب المقادير . وصعدت إلى سطحه ، فرأيت له حسن مشترف وسعة فضاء . ورهبانه من الكرج .

وقد كان أخذ هذا الدير ، وجعل مسجداً للمسلمين ، ثم اعيد ديراً . وتوصل الى هذا بكتاب أحضر من ملك الكرج ، واعانه عليه قوم آخرون .

وحدثني رهبانه بان على ديرهم وقوفاً في بلادهم ، منها خيول سائمه تحمل أثمان نتاجها إليهم ، وأنه يجيء منها في كل سنة قدر جليل وأنها تنفق في مصالح الدير وابن السبيل .

وفيه يقول ابو علي حسن الغزي :

يا حسن أيام قطعت هنيئة
بالدير حيث التين والزيتون !
دير المصلبة الرفيع بناؤه
تفدي عبير ترابه دارين ! »

قارىء

☆ تحية المنبر ☆

يا منبراً للحق قمت وللعلى
اسمعت عقم السمع صوتاً جلجلا
شرفاً يتيه الارثوذكس به ومر
تبةً يزهو على كل الملا
من كل سباقٍ لمفخرةٍ ومقدام
ابي الطرف لا يخشى البلا
لا زلت للانصاف خير وسيلة
يرقى بها الحر الابي أوج العلى

الياس رنتيسى
عضو النادي الارثوذكسي — يافا